



عِزَّاتُ الْمِصْرِيِّينَ مِنَ الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِحْتِلَالِ



عِيَاذُ الْمُرْتَدِّينَ مِنَ التَّنْقِيلِ وَالْإِحْتِلَاقِ

الدكتور محمد راجوادی

أَعْيَانُ الصَّرِيحِينَ مِنْ أَسْتِقْلَالِ الْإِحْتِلَالِ





الطبعة الأولى

2020 - 1442

ISBN 978-625-7682-18-3



هذا الكتاب

نحاول في هذا الكتاب أن نرسم صورة لعوامل تكوين النخبة في مصر الحديثة فيما بين الاحتلال والاستقلال أو بلغة السنوات من خلال من برزوا في العقود الأربعة فيما بين ١٨٨٢ و ١٩٢٢ فيما بعد خمود ونهاية مرحلة قطع الرعوس التي مارسها محمد علي باشا الكبير ١٨٦٩ - ١٨٤٩ الذي كان ، شأنه في ذلك شأن كل ديكتاتور بشري ، حريصا كل الحرص علي ألا يُبقي رأساً مصرياً من الرعوس التي سبقت وجوده في مصر، وأن تبدأ مصر عهداً جديداً بوجوده، وكأنها لم تبدأ إلا علي يديه، وعلي مدي أكثر من أربعين عاما أحكم فيها قبضته علي مصر فإنه نجح في قطع كثير من الرعوس كانت أشهرها بالطبع رعوس المماليك في مذبحه القلعة الشهيرة، وكان أعلاها قيمة رأس من نصبه وأخذ منه الميثاق الغليظ وهو السيد عمر مكرم ١٧٥٥ - ١٨٢٢ نقيب الأشراف فقد نفاه وأهانته .. وكان من ضمنها كثير من الشيوخ و علماء الدين والطرق الصوفية والأثرياء والمحسنين.

ولأن الأمور لا يمكن أن تسير في اتجاه واحد فإن رابع حكام الأسرة العلوية الوالي محمد سعيد باشا ١٨٢٢-١٨٦٣ الذي هو ابن من أبناء محمد علي و ثالث خلفائه و الذي حكم مصر ما بين ١٨٥٤ و ١٨٦٣ بدأ تطورا مختلفا عن سياسة والده و سمح للمصريين بتمكك أراضي وطنهم بعد أن كانت قبضة الأرض قد آلت إلي أبيه وليّ النعم، وكان الحراك الاجتماعي شأنه شأن كل حراك اجتماعي في أي مكان وزمان كفيلاً بأن يقدم نخبة جديدة ارتبطت بالحاكم أو بتقديم خدماتها للحاكم، أو بالمحتل البريطاني أو بتقديم خدماتها للمحتل البريطاني أو بإحراز البطولات في حروب الحاكم أو تحركاته بإحراز البطولات في حروب المحتل البريطاني أو تحركاته لكن الأمر بالطبع لم يقتصر علي هذا العنصر وإنما ضم إلي هاتين الطائفتين ثلاث جماعات أخرى من العناصر الوطنية، الأولى : من رفعهم العلم والوظائف رغم محدودية مؤسسته ودوره وتأثيره في ذلك الوقت، والثانية : من سعد بهم النجاح في الاضطلاع بالمهام الإدارية المحلية من قبيل عمودية البلاد، وهو نظام كان لا بد منه، كما أن المحتل البريطاني أولاه اهتمامه في السلطة والاختيار والصلاحيات،

والثالثة : من نجحوا في إثبات وجودهم في المجالس التمثيلية التي كانت تُقدم علي أنها برلمانات أو مجالس نيابية ، و مع أنها تقتقد إلي معظم الصلاحيات البرلمانية والنيابية والتشريعية بل إلي أكثر هذه الصلاحيات ، فإنها قدمت نوعاً جديداً من "النخبة" هي نخبة من ينجحون في الوصول إليها عبر تمثيل المواطنين، بانتخابات غير مباشرة لكنها في النهاية والبدائية انتخابات ثم إنهم يؤدون حقوقها من الواجهة وخدمة الجماهير والعطاء في حدود الممكن.

وظلت الأمور في هذه المجالس تقدم رجلاً وتؤخر رجلاً حتي وصلنا إلي تكوين الجمعية التشريعية في ١٩١٣ التي جاءت أغليبتها بالانتخاب ،مع نسبة من الأعضاء المعينين، وكان من حقها أن تنتخب أحد وكيلي الجمعية من بين المنتخبين فكانت النتيجة وصول سعد زغلول باشا إلي هذه المكانة وكان هذا الوصول إرهاباً لما حدث من تصديه لقيادة ثورة ١٩١٩ بعد أقل من خمس سنوات.

لا نستطيع أن نزع أننا نملك كل الأدوات الكفيلة لنا باستقصاء أمور نخبة تلك الفترة علي نحو ما أنعم الله به علينا من التمكن من التفصيلات التاريخية الكاملة المحيطة بتكوين نخبة الحقبة الليبيرالية ١٩١٩ - ١٩٥٢ وحقبة الضباط ١٩٥٢ - ٢٠١١ لكننا نستطيع أن نتجاوز التواضع الباهت فنقول باطمئنان إننا نقدم في هذا الكتاب أوفي ما هو ممكن حول تكوين هذه النخبة وحركيتها، وخصائصها، ودورها.

وعلي نحو ما اعتدنا من تقدير دور الفرد والحديث من مدخل الشخصيات فإننا لم نعد إلي الحديث عن تيارات أو اتجاهات وإنما تحدثنا عن التيارات والاتجاهات حديثاً ضمناً مع كل خطوة من خطوات صعود الشخصيات ، كما تحدثنا عن طبيعة الإنجاز ومصاعب المسار من خلال الحديث السلس عن الشخصية نفسها، وهكذا رسمنا صورة بشرية خصبة بدلاً من أن نرسم صورة مادية جافة، ورسمنا صورة متفاعلة مع التاريخ، بدلاً من أن نرسم صورة متوازية مع ما يلجأ إليه أساتذتنا من تفسير مذهبي للتاريخ.

وسوف يري القارئ أن كلا من هؤلاء الذين نتحدث عنهم كان قادراً علي أن يجد لنشاطه مكاناً تحت الشمس، ما دامت الشمس ساطعة علي حين لم يكن هذا ممكناً في ظلام كظلام عهد محمد علي وعباس الأول.

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن الاحتلال البريطاني ساعد بعض هؤلاء علي تحقيق ما حققوه من مكانة، وقد كان بعض هذه المساعدة من قبيل المكافأة علي الإخلاص للاحتلال، لكن معظمها كان من قبل بحث الاحتلال عن كوادر تستطيع أن تزيح عن كاهله جزءاً كبيراً مما يسمي بلغة اليوم الإدارة المحلية.

ونحن لا نستطيع ، ثانياً ، أن ننكر ان بعض من وصلوا إلي هذه المكانة كانوا يستحقون أكثر منها، وأن بعضهم لم يكن يستحقها وتلك طبيعة الأشياء والأشخاص بل طبيعة التاريخ والحياة.

كما أننا لا نستطيع ، ثالثاً ، أن ننكر أن بعض من كانوا يستحقون المكانة لم ينالوها بسبب متانة أخلاقهم، وصلابة تمسكهم بالفضيلة علي نحو ما تتصورها قيمهم الموروثة والمكتسبة سواء كانت هذه القيم دينية أو وطنية، لكنهم بالطبع نالوا ما هو أفضل منها فيما يعتقدون، وربما نشير إليهم في غضون حديثنا لكننا معنيون بالطبع بالحديث عن الأعيان الذين كانوا في مواجهة العين، كما توحى التسميات الاصطلاحية التي تطلق عليهم في كل اللغات.

يأتي هذا الكتاب لينضم إلي ثلاثة كتب تُلقي الضوء علي الحقبة التاريخية التي يتحدث عنها وما قبلها من مقدمات ، وقد كان أولها صدور كتابنا الجامع الأزهر ونشأة الموسوعية العربية الحديثة الذي يتحدث عن رواد النهضة الموسوعية الستة: الشيخان حسن العطار ورفاعة الطهطاوي وعلي مبارك باشا وعبد الله فكري باشا وأحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا وثانيها كتابنا "قبل مشرق النهضة" الذي يقدم سيرة حياة أحد عشر من أعيان المصريين، زعيان، وأميرة، وثمانية رؤساء للوزراء) ، وثالثها كتابنا "سلطة العقل الطموح" الذي يتحدث عن ثمانية من رموز الحضارة العقلية والفكر النهضوي وهم السيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ومحمد قدرى باشا وأحمد حشمت باشا ومحمد عاطف بركات باشا وعمر لطفى بك وأحمد فتحي زغلول باشا وقاسم أمين بك.

اما في هذا الكتاب فإننا نقدم في الباب الأول ستة نماذج للأعيان الذين قدمتهم الأسرة العلوية المالكة للحياة العامة وقد حرصنا في اختيارهم على أن تتمثل فيهم بعض عوامل التميز في توجهات الاسرة و نشاطها ولهذا فاننا نبدأ بأفضل أمراء

الأسرة شخصية وعطاء ومقدرة وهو الأمير عمر طوسون ١٨٧٢ - ١٩٤٤، ثم بأكثرهم عطاء للجامعة والعلم ومستقبل مصر وهي الأميرة فاطمة إسماعيل ١٨٥٣ - ١٩٢٠ ثم بأكثرهم اهتماماً بالفنون الجميلة وعلوم الجغرافيا وهو الأمير يوسف كمال ١٨٨٢ - ١٩٦٥، ثم بأكثرهم تعلقاً بالصوفية والبعد عن الحياة الدنيا وهو الأمير كمال الدين حسين ١٨٧٤ - ١٩٣٢ ثم بأكثرهم تعلقاً بممارسة الفن والأدب والكتابة والرحلات وهي الأميرة قدرية حسين ١٨٨٨ - ١٩٥٥ ثم بأكثرهم علاقة بالثورة الشعبية وبالرحلة والمغامرة والفنون الحربية وهو الأمير عزيز حسن.

ونقدم في هذا الكتاب حديثاً موجزاً و وافياً عن أربعة عشر من الزعماء الوطنيين الذين ارتبطوا بالوفد أو بالحزب الوطني من قبله وعاشوا حياتهم السياسية نجوماً لامعة و منجزة في الحركة الوطنية ، وهم كما سوف نرى يمثلون أقاليم مصر و مهنها وثقافتها وعائلاتها و اهتماماتها وهواياتها و أهواءها و أخلاقها على نحو صادق وأمين .

و يكفينا أن نذكر أسماء هؤلاء الأعيان فنستشعر ما مثلوه من كفاح ونجاح رغم قسوة الظروف و غطرسة الاحتلال و سطوة القوة وإحباط الفشل الذي تولد عما أصاب الثورة العراقية من خيبة الأمل .

نقدم سير حياة أربعة من الآباء المؤسسين لعائلات النفوذ : محمود سليمان باشا و أحمد يحيى باشا و علي شعراوي باشا و الشيخ عبد الرحيم الدمرداش ، واثنين من أبناء العائلات الذين جددوا مجد أهاليهم و ارتفعت موهبتهم بأسماءهم إلى قمة الحضور السياسي : إسماعيل أباطة و فتح الله بركات باشا .

و نقدم سير حياة أربعة من نقباء المحامين الخمسة الأوائل هم إبراهيم الهلباوي باشا و محمود أبو النصر و أحمد لطفي بك و مرقص حنا باشا، و قد كنا قدمنا حياة ثاني النقباء في كتابنا الشركاء المتشاكسون .

و نقدم سير حياة أربعة آخرين ممن أخلصوا للوطنية والكفاح الوطني إلى حدود قصوى حتى إنهم فارقوا الحياة وهم يمارسون الوطنية : عبد اللطيف المكباتي و عبد اللطيف الصوفاني و حسين القصبي و علي فهمي كامل.

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفذ به ، وأدعوه جل جلاله أن يوفقني إلي تقديم ما تبقى من أعمالي ، وقد طال العهد بتجاربها الطبيعية في ظل غربتي ومرضي وتشردي واستيحاشي ، والوقت لا يسعني، والجهد يتضاءل، والذكاء يخبو ، والألمعية تنطفئ ، والقلب يئن ، والنظر يكل ، والعقل يتشتت ، والذاكرة تتبدد ، والسهل يتعقد ، والنفس يتقطع ، والأمل يتضعف، والعمر قصير، والواجب كبير ، والمؤجل كثير ، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله وكرمه.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، و شرور العجز و الكسل و الوهن ، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدي برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي وحدسي و ذائقتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني. والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغنى، والبر والتقى، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل ، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين ، وعطاء المحسنين ، وشك الأطباء، وتثبت العلماء ، وخيال المبدعين ، وتساؤلات الباحثين.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي ، بالطبع وبالتأكيد، كثيرة ومتواترة ومتنامية، فله سبحانه وتعالى - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل

د. محمد الجوادي

الباب الأول أعيان من الأسرة الحاكمة

الفصل الأول : الأمير عمر طوسون

أفضل أمراء أسرة محمد علي

الأمير عمر طوسون (1872 - 1944) هو أعظم أمراء الأسرة العلوية اهتماما بالعلم من ناحية وبالهوية و الوطنية من ناحية أخرى ، كانت له مساهمات إيجابية نبيلة في جميع الميادين السياسية و الحضارية و الخيرية ، و هو أكثر أمراء البيت العلوي الذين احتفظ لهم التاريخ بآثار فكرية. ويذكر له التاريخ أنه أزر الحركات الوطنية ، مخالفاً بهذا تقاليد معظم أفراد أسرته في الابتعاد عن مشاركة الجماهير، وكان صاحب الفكرة التي دعت إلى انضمام الأمراء إلي بقية الأمة في ثورة 1919 والمطالبة بالاستقلال التام، وذهب بعض كتاب التاريخ إلي حد القول بأنه كان صاحب فكرة تشكيل الوفد المصري.

نسبه

هو حفيد لابن من أبناء محمد علي باشا الكبير (شأنه في هذا شأن الخديو توفيق والسلطان حسين والملك فؤاد) أي أنه من الجيل الرابع من الأسرة العلوية إذا اعتبرنا محمد علي نفسه هو الجيل الأول .

والده و جده و زوجته

والده هو طوسون باشا ١٨٥٤ - ١٨٧٦ بن محمد سعيد بن محمد علي الكبير ، مات في الثانية والعشرين من عمره . كان هذا الوالد من مواليده السنوات التي ولد فيها أولاد ابن عمه الخديو اسماعيل (ولد توفيق في ١٨٥٢ و السلطان حسين في ١٨٥٣ و الأمير حسن في ١٨٥٥ واختهم فاطمة في ١٨٥٣ ، وقد قدر لها ان تقترن به) .
جده هو الوالي محمد سعيد ١٨٢٢ - ١٨٦٣ ابن محمد علي ، وثاني اثنين من أولاد محمد علي الذين تولوا حكم مصر ، تولي جده الحكم بعد ابن أخيه عباس الأول ١٨٥٤ - ١٨٦٣ ، وسمي ابنه (والد عمر) باسم أخيه طوسون الذي قتل شابا في إحدى حروب

أبيهما . وقد توفي طوسون باشا والد عمر في شبابه مثل عمه طوسون ابن رأس العائلة محمد علي .
واقترن الأمير عمر طوسون بإحدى كريمات الأمير حسن ابن الخديو إسماعيل.

نشأته وتعليمه المتميز

ولد الأمير عمر طوسون في 8 سبتمبر سنة 1872 بمدينة الإسكندرية، و إذ توفي والده وهو في الرابعة من عمره فقد كفلته جدته لأبيه، وتلقي تعليمه الأولي في قصور عائلته ثم سافر إلي سويسرا ودرس فيها لعدة سنوات، وقام برحلات تثقيفية إلي إنجلترا وفرنسا.

كان الأمير عمر طوسون يجيد التركية والعربية والفرنسية والإنجليزية، وكانت له مكتبة حافلة بالنفائس من الكتب العربية والأجنبية، وكان له ولع بالفرنسية، وقد تولي رعاية مضامير السباق في الديار المصرية وكان رئيسها، كما كان له ولع بالصيد والقنص جعله من أمهر الرماة، كما قام برحلات سياحية كثيرة.

مكانته بين أنداء العلويين

كان الأمير عمر طوسون يكبر الخديو عباس حلمي ١٨٧٤ - ١٩٤٤ بعامين وكذلك كان يكبر ابن السلطان حسين الذي رشح لخلافته وهو الأمير كمال الدين حسين ١٨٧٤ - ١٩٣٢ بعامين ، كما كان يكبر الأمير محمد علي توفيق شقيق الخديو عباس حلمي بثلاثة أعوام وكان أربعتهم يصغرون الملك فؤاد ١٨٦٨ - ١٩٣٦ وإن كانوا قريبين منه في السن .

ارتقى قريبا من الزعامة الشعبية

نال الأمير عمر طوسون حب الشعب المصري واحترامه وتقدير زعمائه. حتي إنه ارتقى قريبا من الزعامة الشعبية وقد بذلت محاولات مبكرة وكثيرة علي استحياء لأن يكون رئيساً لهيئة بديلة للوفد الذي ألفه سعد باشا زغلول فلم تفلح ، لكنه بقي صاحب فضل في التأكيد علي تمصير و تمصر الأسرة العلوية الحاكمة ، وهو ما ظهر سريعا في عروبة الملك فاروق (ولد 1920) .

وقوفه مع الشعب من أجل الديمقراطية

كان الأمير عمر طوسون أول أمير من أربعة عشر أميراً بعثوا برسالة إلى الملك فؤاد في ٢٣ نوفمبر ١٩٢٥ يؤيدون فيها مطالب الشعب ضد الوزارة الزبورية التي تولت الحكم بعد استقالة وزارة سعد باشا في نوفمبر ١٩٢٤، وكان موقف هؤلاء الأمراء تأكيداً نكياً على إحساسهم بالانتماء للمصريين، ولقضايا الحرية والديموقراطية في الشارع المصري، ومما هو جدير بالذكر أن ثاني الأمراء الموقعين على هذه الرسالة كان هو الأمير كمال الدين حسين وأن ثالثهم كان هو الأمير محمد علي وأن رابعهم كان هو الأمير يوسف كمال وأن خامسهم كان هو الأمير إسماعيل داوود ثم توالى توقيعات عمر حليم وسعيد داوود وسليمان داوود وعمر إبراهيم وسعيد طوسون وحسن طوسون وعلي فاضل وعثمان فاضل وأخيراً عباس حليم.

مول نفقات الوفد بعشرة آلاف جنيه

يُذكر للأمير عمر طوسون إعانته للوفد بعشرة آلاف جنيه فيما بعد تشكيله وقراره السفر إلى مؤتمر فرساي ، كما يذكر له اكتتابه في لجنة الأمراء التي تولت بأموالها تخفيف الولايات التي نتجت عن ضحايا الثورة، وعنف البريطانيين في حربها ..

دوره الرائع و المرموق في الحرب الطرابلسية

كانت مساهمات عمر طوسون السياسية قد بدأت في الظهور القوي مبكراً في خارج الحدود المصرية ، حين تولي جمع التبرعات من أجل الحرب الطرابلسية، وقد نجح في أداء هذه المهمة نجاحاً فائقاً إلى درجة أن الكتابات التي تناولت هذه الفترة أبدت اندهاشها من قدر نجاحه فيها، و قد قيل إنه لو لم يسعف أهل طرابلس بمعونته لما أمكن لأهلها الاستمرار في الدفاع بضعة أشهر، و قد روي الدكتور هيكل باشا في مذكراته أنه جمع في مدينة المنصورة مائة ألف جنيه في نصف ساعة.

موقفه في حرب البلقان

كرر الأمير عمر طوسون هذا الموقف في حرب البلقان ، فقد رأس لجنة الإعانة في مصر ، وألف اللجان في المديرية والبلدان وكان يجمع التبرعات بنفسه، وكان

يلقي الخطب المؤثرة في المشاهد الحافلة بالأمرء والأعيان، ثم استمرت المعونات التي كان يجمعها لإعالة أيتام الأناضول الذين عانوا شبح الموت والجوع .

إسهاماته في تخفيف الكوارث

والواقع أن الأمير عمر طوسون كان داعية أيضا إلي التضامن مع الشعوب في الكوارث ، ولما حدث حريق الآستانة وحدث مثله في الشام ومصر في وقت واحد جمع للمصابين في البلدان الثلاثة معونة مالية كبيرة أزالت بعض مآسيهم.

تبرعاته وتكريمه للأسطول العثماني والطيارين العثمانيين

تواصلت تبرعات الأمير عمر طوسون ودعمه علي هذا النحو ، حيث تبرع للأسطول العثماني والطيارين العثمانيين واحتفل بهم في مضمار الإبراهيمية (نادي اسبورتنج الآن) في الإسكندرية.

وقوفه مع الجيش العثمانية لإتقذ تركيا من الذوبان

ساعد الأمير عمر طوسون الجيوش التركية في نهاية الحرب العالمية الأولى بالمال، ونهج الهنود في أثره في هذا العمل الإنساني. وقد دامت هذه المعونة ثلاث سنوات متواليات، كان لها أثرها في معاونة الأتراك حتي انتصروا علي اليونانيين وحرروا أجزاء من بلادهم التي غزاها اليونانيون. و استمرت المعونات التي كان عمر طوسون يجمعها لإعالة ضحايا هذه الحرب كذلك فقد كان هو من تولي رعاية جماعة البخاريين الذين سدت عليهم الحرب العالمية الأولى الوصول إلي بلادهم في أثناء عودتهم إليها بعد أدائهم فريضة الحج.

دفاعه عن مقام الاسرة العثمانية و السلطان عبد المجيد

لما تغلب الكماليون علي السلطان عبد المجيد بدأ الأمير عمر طوسون حملة دافع فيها عن مقام الخلافة وأخذ يرعي الأسرة العثمانية، وألف جمعية لإمداد الخليفة عبد المجيد وأمرء البيت العثماني وأميراته، وكان أول مدد أرسل إليهم أربعة آلاف جنيه، وكان يمون بيوتهم بالغلل منذ بداية الحرب.

تقدير الدولة العثمانية له

عرفت الدولة العثمانية له فضله عليها في حربي طرابلس و البلقان ، كما قدرت جهوده الرائدة في جمعية الهلال الأحمر، وتذكر بعض الكتابات المتاحة عن هذه الفترة أن الدولة العثمانية أرادت أن تكافئه بالأوسمة والرتب ، بل أن توليه إحدى الولايات ، فأبي شاكرا.

جفاء الأوربيين تجاهه

ولهذه الأسباب جميعا نري الغربيين لا يعطونه مكانته المستحقة في التاريخ الإنساني كواحد من رموز العمل المدني والإنساني الذين تفوقوا على النبلاء الأوربيين في ذلك العصر .

قيمه العلمية

ينظر التاريخ العلمي إلى الأمير عمر طوسون على أنه باحث مؤرخ وجغرافي بفضل ما ترك من آثار ومؤلفات وأعمال قيمة متميزة ، حتي مع حرص أستاذنا الزركلي على الغض من قيمته على طريفته وذلك من قبيل قوله أنه يروى أنه أنفق علي مَنْ كتبوا له ما نسب إلي اسمه من مؤلفات قيمة، وهو قول مفهوم الدافع في ظل حرص الزركلي على التقليل من قدر أي أمير عظيم غير سعودي ، مع أنه من المفترض أن يعرف قيمة عمل عمر طوسون بفضل ممارسته العمل العلمي في تأليف موسوعته الأعلام ، لكن هكذا كان حظ العرب مع تاريخهم المشرق .
ومع هذا فإن الأمير عمر طوسون نال عضوية المجمع العلمي المصري، والمجمع السوري .

ويشير جولد شميث إلي أنه كان عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو خطأ وصوابه أنه كان عضواً في المجمع العلمي المصري، والواقع أن جولد شميث كثيراً ما يخلط بين المجمعين، وربما يدفعه إلي هذا الخلط أن المجمع اللغوي في دمشق يحمل اسم «المجمع العلمي العربي»
كذلك كان عمر طوسون من أعضاء الجمعية الجغرافية بمصر.

المراجع الموسوعية التي ألفها الأمير عمر طوسون :

- «البعثات العلمية في عهد محمد علي» وهو أوفى مرجع في ميدانه
- «خط الاستواء» في ثلاثة أجزاء .
- «الصنائع والمدارس الحربية»
- «أعمال الجيش المصري في المكسيك»
- «الأطلس التاريخي الجغرافي لمصر السفلي منذ الفتح الإسلامي إلي الآن»
- «وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطارقة»
- «تاريخ خليج الإسكندرية القديم وترعة المحمودية»
- «فتح دارفور»
- «المسألة السودانية»

وله كتب أخرى

- «يوم ١١ يوليو ١٨٨٢» وهو يوم الاعتداء الإنجليزي علي الإسكندرية
- «صفحة من تاريخ مصر والجيش البري والبحري»
- «كلمات في سبيل مصر»
- «ضحايا مصر في السودان وخفايا السياسة الإنجليزية»
- «مصر والسودان».

وله كتب نشر بعضها بالعربية بعد أن نشرت بالفرنسية :

- «تاريخ النيل» في ثلاثة مجلدات
- «مذكرات في مالية مصر من عهد الفراعنة إلي أيامنا هذه»
- «جغرافية مصر في عهد العرب».
- " أفرع النيل القديمة" .
- «الإسكندرية في ١٨٦٨».

محاضرات في المجمع العلمي المصري ورسائل تاريخية

- منارة الإسكندرية.
- وسد أبوقير.
- وترعة المحمودية.

سماته النبيلة

تمتع الأمير عمر طوسون بأخلاق عالية، وكان صاحب خلق سام، مترفعاً عن الصغائر ، وكان في سماته الشخصية كثير من الأخلاق التي تحبب فيه الخاصة والعامه، فقد كان يكره الخمر ويكره شاربها، وكان شقيقاً في ميوله، وكان يجلب الإسلام وأوامره، وكان حفيماً بنشر الصدق والإخلاص، وكانت محبته للمصريين تعادل محبتهم له، وكان يخلو من العصبية التي كان بعض الأمراء يتسم بها.

قدراته الإدارية

تمتع الأمير عمر طوسون بقدرات إدارية فائقة، وكان يتولى أمور دائرته بنفسه، وكان يتدارس مع معاونيه كتب الزراعة وموسوعاتها المتوفرة و أسرار الزراعة وتربية الحيوان وأصولها العلمية، ولهذا أصبح معروفاً بأنه أنجح أصحاب الأراضي، وقد تولي إدارة دائرتين من أكبر الدوائر هما دائرة حميه الأمير حسن باشا وزوجه الأميرة خديجة هانم، ودائرة الأمير محمد إبراهيم، وكان يؤديها من دون مقابل مادي.

نهجه المثالي في التعليم و الإصلاح الاجتماعي

علي مستوي الإصلاح الاجتماعي ، كان عمر طوسون سباقاً، ورائداً، وكان حريصاً علي أن تكون في دوائره مدارس لأبناء الفلاحين يتاح فيها لأبناء الموظفين التعلم بدون أجر، وكانت هذه المدارس تصرف أدوات الدراسة كلها ، كما كانت تتولي تعليم موظفيه اللغة العربية عقب فراغهم من أعمالهم، وكان حريصاً علي منح الجوائز للناجحين في امتحان المدارس كل عام، كما كان يساعد المتفوقين علي إتمام دراستهم، وقد عاون كثيرين علي الابتعاث إلي مدارس أوروبا العالية.

عنايته بالمساجد

وعلي نحو ما عني الأمير عمر طوسون بالمدارس في دائرته فقد عني بإقامة المساجد في هذه الدوائر، ووجه جهوده إلي العناية بمشيخة علماء الأزهر بالإسكندرية وبذل عطاياها لترقية المتعلمين بها، كما بذل هباته لمكثبتها.

جمعية العروة الوثقى، وجمعية المواساة

أبرز الجمعيات التي كانت تحظى برعايته : جمعية العروة الوثقى، وجمعية المواساة، وقد وهب الجمعيتين والملجأ العباسي هبات متعددة، ومن أفضل أياديه المشكورة إيعازه لجمعية المواساة التي كان يرأسها رئاسة شرفية بتوزيع الدقيق علي فقراء الإسكندرية، ونظم (١٩٣٥) مساعدة للمعيشة ضد الفقر والبطالة، وقد سمت جمعية العروة الوثقى مدرستين من مدارسها باسمه كانت إحداهما للبنات والأخرى للبنين، ومن الجدير بالذكر أن الدار التي فيها مدرسة البنين موهوبة لها منه.

دعمه للجمعيات الخيرية الإسلامية و المسيحية

نشر الأمير عمر طوسون في الصحف دعوته للمصريين عامة إلي مد يد المساعدة للجمعية الخيرية الإسلامية وتقديمهم إلي الاكتتاب لها بمبلغ خمسة آلاف جنيه عند ما علم بحاجة الجمعية إلي المال. ولم يخل علي الجمعية الخيرية القبطية بتعزيده فتبرع لها ودعا الأقباط المصريين إلي الاكتتاب لها، وتبرع لمدرستي البطررخانة والمشغل البطرسي علي إثر زيارته غبطة الأنبا كيرلس بطريرك الأقباط الأرثوذكس ومنح هاتين المدرستين سندات من الدين الموحد لتعطي أرباحها السنوية جوائز لأوائل الناجحين والناجحات منهما.

عنايته بالفنون ومشاركته في تمويل تمثال نهضة مصر

عني عمر طوسون بكثير من النواحي الفنية حيث رأس متحف الإسكندرية، وجمعية الآثار القبطية بالتعاون مع الكنيسة القبطية، وامتد تشجيعه إلي الفنون الجميلة و تبرع بخمسائة جنيه من تكلفة إنجاز تمثال «نهضة مصر».

دعمه للرياضة والكشافة

كان الأمير عمر طوسون حريصا علي تعزيد مشروع الكشافة، وكان يلفت النظر إلي ما يحققه وقد منحه جمعية الكشافة بالإسكندرية لقب «الكشاف الأعظم».

رعايته للمعارض الزراعية

وعرف عنه تعاضده للمعارض الزراعية، واشتراكه في الاكتتابات الأهلية ذات الأهداف الاجتماعية، وقد اشترك بخمسائة سهم في جمعية المشروعات الأهلية.

قصيدة إسماعيل صبري

ولشيخ الشعراء إسماعيل صبري باشا قصيدة في الأمير عمر طوسون بعث بها إليه أيام حرب البلقان والهلل الأحمر قال فيها:

لَكَ الإِمَارَةُ وَالْأَقْوَامُ مَا بَرِحَتْ
لو لم تَرثها لما أَلَقْتَ أَعِنَّتَهَا
يَابِنِ الأُلَى لو أَطَّلُوا مِنْ مَضَاجِعِهِمْ
أَعَدْتَ أَيَّامَهُمْ فِي مِصْرَ ثَانِيَةً
وَسِرْتَ سَيْرَتَهُمْ حَتَّى كَانَتْهُمْ
بِئْسَ دَرْكٌ كَمْ نَبَّهْتَ مِنْ هَمِّ
وَكَمْ تَعَهَّدْتَ جِرْحَى مِنْ أَسْوَدٍ وَغَى
مَسْتَجِدًّا مِنْ بَنِي مِصْرٍ إِلَى شَمِّ
مَسْتَهْمِيًّا هَامِيًّا وَالْيَلُ فِي وَجَلٍ
حَتَّى تَفَاهَمْتَ الأَرْحَامُ وَادَّكَّرْتَ
وَأَذِنَ البِرُّ بِالسُّقْيَا وَمَا فَتِنَتْ
وَحَرَّكَتْ كُلَّ كَفِّ بِالنَّدَى مِقَّةً
وَالنَّاسُ إِنْ قَامَ يَسْتَسْقَى الكَرِيمُ لَهُمْ
يَأْبَى عِلَاءً سَعِيدٍ أَنْ يُشَابِهَهُ
مَا زَالَ يَحْمَدُهُ رَائِيكَ مُدَكِّرًا

بِكَلِّ عَالِي الدُّرَا فِي الكَوْنِ تَأْتِمُرُ
إِلَّا إِلَيْكَ خِلَالَ كُلِّهَا غُرُرُ
يَوْمَا عَلَيْكَ لَقَالُوا إِيهَ يَا (عَمْرُ)
حَتَّى تَوَهَّمَ قَوْمٌ أَنَّهُمْ نَشَرُوا
إِذَا خَطَرَتْ بِأَرْضِ مِرَّةٍ خَطَرُوا
تُنْتِنِي عَلَى أَهْلِهَا الأَصَالُ وَالْبِكْرُ
إِنْ يَكْثِرَ الدَّهْرُ عَنْ أَحْدَانِهِ كَثَرُوا
إِذَا رَأَوْا ثَلْمَةً فِي حَوْضِهِمْ جَبَرُوا
مَنْ أَنْ تَجُودَ بِهِ أَيْمَانُكُمْ حَذِرُ
مَا بَيْنَهَا الأَهْلُ وَالخَلْلَانُ وَالْأَسْرُ
مِنْهُمْ وَمَنْكَ صَنُوفُ البِرِّ تُنْتَظَرُ
حَتَّى تَعَجَّبْتَ الأَنْهَارُ وَالْعُدْرُ
سَحَائِبَ الفَضْلِ بِشَرِّهِمْ فَقَدَ مُطَرُوا
إِلَّا أَيْنَ دُوْحَتِهِ إِنْ قَامَ يَفْتَخِرُ
وَالأَصْلُ بِالفَرْعِ إِنْ حَاكَاهُ يُدَكِّرُ

وفاته

توفي الأمير عمر طوسون في ٢٦ يناير ١٩٤٤.

الفصل الثاني : الأميرة فاطمة إسماعيل

المثل الساطع للعطاء المستنير

الأميرة فاطمة إسماعيل (١٨٥٣ - ١٩٢٠) هي ابنة من بنات الخديو إسماعيل وهي اخت لثلاثة من حكام مصر من الاسرة العلوية ، فالخديو توفيق ١٨٥٢ - ١٨٩٢ يكبرها بعام واحد والسلطان حسين ١٨٥٣ - ١٩١٧ مولود معها في نفس العام، و الملك فؤاد ١٨٦٨ - ١٩٣٦ يصغرها بخمسة عشر عاما . وهي عمة اثنين من حكام مصر هما الخديو عباس و الملك فاروق ، وهي ابنة عم الأميرة نازلي فاضل ١٨٥٣ - ١٩١٣ المولودة معها في نفس العام وصاحبة الدور البارز في الحياة العقلية و الاجتماعية في ذلك الجيل لكنها تميزت عن هؤلاء جميعا بأنها كانت أكثر عطاء و أكثر انحيازاً للعلم و التنمية .

موجز ما يسجله التاريخ في وصفها

الأميرة فاطمة إسماعيل هي صاحبة الفضل الأوفي علي فكرة الجامعة المصرية، فقد حولتها من فكرة نبيلة إلي فكرة ممولة علي نحو غير مسبوق في المجتمع المصري الحديث، ولم تبخل علي الجامعة بما كانت تملكه من أرضها وجواهرها، مع أنها كانت أما أنجبت ستة من الأبناء، لكن و عيها العالي، وذوقها الرفيع، ووطنيتها الصادقة، كل أولئك دفعها إلي الإخلاص للفكرة الجامعية والثقافية خطوة بعد خطوة، فخصصت الأراضي للإنفاق علي الجامعة وبنائها، وخصصت أراضي أخرى لتكون مقرا للجامعة، وتبرعت بمجوهراتها الشخصية لأجل هذا الغرض، ووظفت علاقة القرب بالخديو عباس حلمي لتجعل من تبرعها خطوة دافعة نحو بناء الجامعة في أسرع وقت.

نشأتها وأسرتها الصغيرة

ولدت الأميرة فاطمة بنت الخديو إسماعيل في الثالث من يونيو سنة ١٨٥٣، ارتبطت بزوجها الأول الأمير محمد طوسون (١٨٧٣)، الذي هو والد الأمير عمر

طوسون وقد رزقت منه بالأمير جميل طوسون، وبننا هي الأميرة عصمت، لكنه توفي بعد زواجهما بثلاث سنوات فقط (١٨٧٦)، وبعد سبع سنوات أخرى تزوجت (١٨٨٣) من محمود سري باشا ، ورزق منها بننا وثلاثة ذكور هم: أميرة، وكمال الدين، وجمال الدين، ومحبي الدين.

تعاقب تبرعاتها

قدرت جملة تبرعاتها في دعم إنشاء أول جامعة مصرية (الجامعة المصرية ثم جامعة فؤاد الأول.. جامعة القاهرة حاليا) بمبالغ تزيد على ٣٥٠ ألف جنيه من عملة ذلك الزمان حين كانت قيمة الجنيه المصري تفوق قيمة الجنيه الذهب. شرعت الأميرة فاطمة بأن وقفت على مشروع الجامعة ٦٦١ فدانا ضمن ٣٣٥٧ فدانا بمديرتي الجيزة والدقهلية خصصتها كلها لجهات البر، والجمعيات الخيرية، والجمعيات العلمية. وفي خطوة تالية وهبت الأميرة فاطمة جواهرها ومصوغاتها من الذهب والماس لجامعة القاهرة، حيث بيعت في مزاد حقق ٢٥ ألف جنيه.

الاحتفال بوضع حجر الأساس للجامعة

في يوم ٣٠ مارس عام ١٩١٤ أقيم احتفال كبير رأسه الخديو عباس حلمي الثاني ووضع فيه حجر الأساس للجامعة علي مساحة كبيرة من الأرض (نحو ستة أفدنة تحتلها مباني وزارة الزراعة والمتحف الزراعي حاليا)، وهي قطعة من الأرض التي تبرعت بها الأميرة فاطمة إسماعيل ضمن تبرعاتها العديدة لهذا الغرض النبيل.

قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي في الاحتفال

خلد أمير الشعراء أحمد شوقي هذه المناسبة في قصيدة شهيرة قال فيها:

وبارك الله في عمات عباس
فرع أشم وأصل ثابت راس
لولا الأميرة لم تصبح باسباس
إن قيس بحركم الطامى بمقياس
كرائم الدر والياقوت والماس

يا بارك الله في عباس من ملك
ولا يزال بيت إسماعيل مرتفعا
وبارك الله في أساس جامعة
يا عمة التاج ما بالنيل من كرم
لم تكسب التبر يمناه ولا قذفت

زهو السماء بمصباح ونبراس
واليوم تبدو قياما غير أدراس
كما كسا جنبات الكعبة الكاسي
قد يخرج الفرع شبه الأصل للناس
وما زبيدة بنت الجود والباس
إليك تخطر بين الورد والأس
كأن أيامها أيام أعراس
ولا لفضلك في الأجيال من ناس
أنشر ضياء الهدى من طي أرماس
من نورها تهتدى الدنيا بنبراس
فلا حياة لأقوام مع اليأس
ترك المريض بلا طب ولا أس
رأس، وبيتكم تاج على الرأس
بغداد مصر وأنتم آل عباس

ولا بنى الدار بالعرفان زاهية
كانت على الأمس أدراسا معالمها
كسوتها وهي أهل للذي لبست
شمائل كان اسماعيل معدنها
ما الخيزران وما ابناها وما وهبها
سكينة العلم في الفردوس ضاحكة
تقول مصر من الزهراء مشرقة
فما كصنعك صنع في محاسنه
يا باني المجد وأبن المولعين به
وألُق في أرض منف أس جامعة
وانفض عن الشرق بأسا كاد يقتله
ترك النفوس بلا علم ولا أدب
ملوك مصر كرام الدهر إن جمعوا
سبحان من تبعث الولاة قدرته

وفاتها

توفيت الأميرة فاطمة في القاهرة في ١٨ نوفمبر ١٩٢٠، فلم تشهد في حياتها
افتتاح مباني الجامعة الجديدة، ولا تحولها إلي جامعة حكومية.

الفصل الثالث : الأمير كمال الدين حسين

الذي تصوف فتنازل عن العرش

مولده و نسبه

ولد الأمير كمال الدين حسين في ٢٠ ديسمبر ١٨٧٤ و هو ابن السلطان حسين كامل والأميرة عين الحياة ابنة الأمير أحمد رفعت باشا، وأشقائه هم الأمير أحمد كاظم والأميرة كاظمة والأميرة كاملة . أما أخواته غير الشقيقات فهن الأميرات قدرية وسميحة وبديعة ، وقد ظل الأمير كمال الدين حسين يلقب بصاحب السمو حتى سنة ١٩٢٢ ، وحين أعلن استقلال مصر في تلك السنة واتخذ السلطان فؤاد لقب الملك وصدر قانون ملكي بشأن العائلة المالكة ونص هذا القانون على منح لقب " صاحب السمو السلطاني" لأنجال السلطان حسين فأصبح الأمير كمال الدين حسين يلقب بصاحب السمو السلطاني .

زواجه من ابنة عمه

تزوج الأمير كمال الدين حسين من الأميرة نعمت الله ابنة الخديو توفيق (توفيت عام ١٩٥٥) ، ولم يرزق منها بأبناء، ولكنها كانت متزوجة قبلاً من النبيل عادل طوسن ورزقت منه بابنها جميل طوسن، وقد كانت أميرة بالمولد ولذلك لم يضاف لها زواجها الأول أو الثاني لقب الأميرة .

تصوفه النادر بين طبقة حكام مصر

تتمثل القيمة الحقيقية للأمير كمال الدين حسين في تصوفه، فلم يعرف أن أحداً من حكام مصر أو المرشحين لحكمها اتجه مثل اتجاهه في التصوف، وعلى الرغم من كل المحاولات الساعية إلى إخفاء هذا الجانب من حياته فإنه عاش متصوفاً وتوفي متصوفاً بل إنه أوصى أن يدفن على نحو يوحى بتصوفه .

كان الأمير قد تعرف إلى اتباع إحدى الطرق الصوفية الألبانية ودعمهم دعماً

كبير، وكان قصره مقر للقاءات بينهم، وبعد فترة هجر الحياة العامة و تخلى عن العرش قبل ساعات من وفاة والده للملك فؤاد الذي هو عمه وعم زوجته.

وقوفه مع الشعب ضد الاحتلال

لا تقتصر القيمة التاريخية للأمير كمال الدين حسين على تنازله عن ولاية العهد من أجل تقريب المسافات والخلافات في الأسرة العلوية المالكة فحسب ، لكن التاريخ يذكر له أنه كان من داعمي ثورة ١٩١٩ منذ بدايتها .

رئاسته للاحتفال بعيد الجهاد في ١٩٢٠

ويذكر للأمير كمال الدين حسين أيضا رئاسته للاحتفال بذكرى عيد الجهاد ١٣ نوفمبر عام ١٩٢٠ في ذروة أحداث وتفاعلات ثورة ١٩١٩ .

وقوفه مع الشعب ضد الديكتاتورية

كما يذكر للأمير كمال الدين حسين ثالثا أنه كان مع الأمير عمر طوسون ثاني أمير من أربعة عشر أميراً بعثوا برسالة إلى الملك فؤاد في ٢٣ نوفمبر ١٩٢٥ يؤيدون فيها مطالب الشعب ضد وزارة زيور التي فرضها الملك بعد استقالة وزارة سعد باشا في نوفمبر ١٩٢٤، وكان موقف هؤلاء الأمراء تأكيداً ذكياً على إحساسهم بالانتماء للمصريين، ولقضايا الحرية والديموقراطية في الشارع المصري، ومما هو جدير بالذكر أن ثالث الأمراء الموقعين على هذه الرسالة بعد الاميرين عمر طوسون وكمال الدين حسين كان هو الأمير محمد علي وأن رابعهم كان هو الأمير يوسف كمال وأن خامسهم كان هو الأمير إسماعيل داوود ثم توالى توقيعات الأمراء .

اهتماماته بالصحراء

اهتم الأمير كمال الدين حسين كثيراً بالرحلات عبر الصحراء إلى بلدان شتى في العالم، كما اهتم بجمع التحف الشرقية .

قصة عن زوجة فرنسية مجهولة للأمير

تتردد قصة تقول بأن محامياً فرنسياً جاء موكلًا عن سيدة فرنسية تدعى مدام فيال ديمينييه ، وأخبر الملك فؤاد بزواج الأمير كمال الدين حسين من هذه السيدة الفرنسية في ٥ مايو ١٩٢٤ ، وأنها تعتبر الوريثة الوحيدة له بعد أن أنجبت منه ابناً . وأن الملك فؤاد رفض الاعتراف بالزواج، وقال أنه لا يعترف إلا بالزواج الذي يقره مجلس البلاط الملكي وأي زواج سري لا قيمة له . ولكن المحامي الفرنسي قرر اللجوء للمحاكم المختلطة بالإسكندرية ليطالب بميراث زوجة كمال الدين حسين التي تزوجها في فرنسا، وأن المحامي تقدم بالخطابات الغرامية التي أرسلها ولي العهد المصري حينذاك إلى حبيبته الفرنسية، والتي يؤكد فيها أنه تنازل عن العرش من أجلها .

وفاته

توفي الأمير كمال الدين حسين في ٦ أغسطس ١٩٣٢ عن عمر يناهز ٥٨ عاماً، بسبب مضاعفات بتر ساقه، بعد حوالي ٤ شهور من إجراء العملية الجراحية .

وصيته

سجل الأمير كمال الدين حسين رغبته في أن يدفن في قبو بنيت خصيصاً له في تلال المقطم بالقرب من سكن الدراويش ولم يترك أي وصية فيما يتعلق بمصير قصره .

زوجته تهدي قصره للدولة ليكون وزارة للخارجية

هذا وقد عاشت الأميرة نعمت الله متصوفة متأملة ، و في حياة زهد وتشف أثناء إقامتها في قصرها ، ثم قررت الانتقال لمبنى صغير مجاور للقصر وأهدت قصرها إلى الدولة ليكون مقراً رسمياً جديداً لوزارة الخارجية المصرية منذ عام ١٩٣٠ .

الفصل الرابع : الأمير يوسف كمال

رجل الحضارة في عصر النهضة

الأمير يوسف كمال ١٨٨٢-١٩٦٥ هو أكثر أفراد الأسرة العلوية اهتماماً بالفنون الجميلة بالمعنى الحرفي للكلمة ، وهو بلغة تاريخ الحضارة واحد من رجال عصر النهضة في مصر علمياً وفنياً و تأسيساً و رعاية عن جدارة .

نسبه

هو حفيد من أحفاد الأمير أحمد رفعت أخو الخديو إسماعيل وحفيد محمد علي باشا الكبير أي أنه من الجيل الخامس مثل الملك فاروق والخديو عباس حلمي (إذا اعتبرنا محمد علي هو الجيل الأول) أما والده فهو الأمير أحمد كمال . وهو ابن عم مباشر للأميرة شويكار الزوجة الأولى للملك فؤاد (١٨٧٦ - ١٩٤٧) ، فهي ابنة عمه الأمير إبراهيم فهمي ابن الأمير أحمد رفعت. لكنه يصغرها في السن بست سنوات

توجهه السياسي مع الشعب في ١٩٢٥

كان الأمير يوسف كمال الأمير الرابع من أربعة عشر أميراً بعثوا برسالة إلى الملك فؤاد في ٢٣ نوفمبر ١٩٢٥ يؤيدون فيها مطالب الشعب ضد وزارة زيور باشا التي دعمها الملك بعد استقالة وزارة سعد باشا في نوفمبر ١٩٢٤ ، وكان موقف هؤلاء الأمراء تأكيداً ذكياً على إحساسهم بالانتماء للمصريين ، ولقضايا الحرية والديموقراطية في الشارع المصري ، ومما هو جدير بالذكر أن الأمراء الموقعين على هذه الرسالة كانوا هم الأمير عمر طوسون والأمير كمال الدين حسين والأمير محمد علي ثم الأمير يوسف كمال ثم الأمراء إسماعيل داوود و عمر حليم وسعيد داوود وسليمان داوود وعمر و إبراهيم وسعيد طوسون وحسن طوسون وعلي فاضل وعثمان فاضل وأخيراً عباس حليم

دوره العلمي في وضع أجمل أطلس لإفريقيا

من العجيب أن الأثر العلمي للأمير يوسف كمال يكاد يضيع في ظل طغيان الحديث المستحق عن اثره الفني الذي هو أثر بارز ، و قد كنا ولا نزال نود أن نحیی ونحیی ذلك الأثر ونعيد طبع مجموعته الكمالية و ننشر فضله في انه نسق وضع أروع أطلس في عصره لأفريقيا و مول طباعته على نفقته بالخارج .
تبنى الأمير يوسف كمال ترجمة عدد مهم من المراجع الفرنسية، ومول طباعتها ومن هذه الكتب:

- مجموعة الكمالية في جغرافية مصر والقارة الإفريقية (في ١٣ مجلد).
- وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية.
- كتاب بالسفينة حول القارة الأوربية.
- رحلة سياحية في بلاد الهند والتبت الغربية وكشمير ١٩١٥.

جهوده التأسيسية

- كان الأمير يوسف كمال من الذين أسهموا في تأسيس الجامعة المصرية الأهلية ، وكان ثالث رئيس من رؤسائها المتعاقبين في عصرها الأول.
- كان هو صاحب الفضل الأوفى في تأسيس كلية الفنون الجميلة ١٩٠٨ والانفاق عليها وعلى بعثاتها وفنانيها وعلى رأسهم الفنان الكبير محمود مختار، وراغب عياد وغيرهما.
- تأسيس جمعية محبي الفنون الجميلة ١٩٢٤.
- تأسيس الأكاديمية المصرية للفنون في روما ١٩٢١
- وكان له نشاطه العلمي المثمر في الجمعية الجغرافية الملكية، وفي نادي السيارات عند تأسيسه على النحو المتميز الذي نعرفه.

دوره الفني

اما اثره الفني السامق والسابق فمعروف و ذلك بفضل بتأسيسه لثلاث مؤسسات مهمة ، وهو ينفرد بهذا التوجه و يتفوق فيه على كل من أمراء اسرة محمد علي و أعيان المصريين جميعا في عصره، وقد ظهر أثره الفكري مبكراً جداً فقد أسس

مدرسة افنون الجميلة فحين كان في السادسة والعشرين من عمره فقط.
كان الأمير يوسف كمال هو الذي تولى تمويل بعثات الفنانين الدارسين في
الأكاديمية المصرية في روما وقد بدأت البعثات بخمسة فنانين: معماريان ومثالان
ومصور، وكان آخرهم رحبلا هو الفنان صلاح نايل الذي كان في نهاية حياته
الوظيفية نائب رئيس جامعة حلوان.
كذلك كان الأمير يوسف كمال محبا للموسيقى والغناء فكان يدعو الفنان سامي
الشوا عازف الكمان و الفنان محمد عبد الوهاب لإحياء السهرات في قصره المعروف
في المطرية .

فضله على متحف الفن الإسلامي

قدم الأمير يوسف كمال لمتحف الفن الإسلامي كثيرا من المقتنيات من المنابر
والسيوف والمشغولات الذهبية والمصاحف والدروع، والثريات وكان يحرص على
التسجيل العلمي لهذه الآثار، ووصف مصدرها، وتاريخ صنعها، أو اقتنائها أو
الحصول عليها.

فضله على متحف فؤاد الأول الزراعي

أهدى الأمير يوسف كمال إلى متحف فؤاد الأول مجموعة من الطيور المحنطة
ورعوس الحيوانات المفترسة من مقتنياته في رحلات صيده

مقتنياته

تتوزع بعض مقتنيات الأمير يوسف كمال الآن على مكتبة جامعة القاهرة، وعلى
متحف محمد علي بالمنيل.

الرحلات والصيد

بالإضافة إلى رعايته للفن واهتمامه بالفن كان الأمير يوسف كمال متفوقا في
الرحلات والصيد والجغرافيا وقد عُرف بمغامراته في أفريقيا الجنوبية، وبعض بلاد
الهند واحتفظ بالكثير من أجزاء الحيوانات التي اصطادها على طريقة التصبير

المعروفة في ذلك الوقت، وكانت مقتنياته من الجلود والرؤوس المحنطة تملأ قصوره في القاهرة والإسكندرية ونجع حمادي.
وكان يشترك في هذا الوله بالرحلات مع بعض أفراد الاسرة العلوية من قبيل الأمير محمد علي توفيق (١٨٧٥ - ١٩٥٥) وكثيرين آخرين من أعيان المصريين من غير أفراد الأسرة المالكة.

تفوقه في إدارة ثروته

عرف عن الأمير يوسف كمال أنه كان يجيد إدارة ثروته وتنميتها حتى إنه كان حسب إحصاءات عصر الشفافية والوضوح أغنى شخصية في مصر في بعض السنوات. و في ذلك العصر قدرت أملاكه في ١٩٣٤ بحوالي عشرة ملايين جنيه جعلته في مرتبة أغنى أغنياء مصر ، ومن الجدير بالذكر أن الفنان محمد عبد الوهاب حسب ما يروى عن الأستاذ على امين كان يملك في ١٩٣٢ ما قيمته مليون جنيه.
وكانت ثروته من الأرض الزراعية قد وصلت في ١٩٤٨ إلى ١٧ ألف فدان حسب جداول الأملاك الزراعية التي كانت متاحة ومنشورة على الملأ ، كانت تدر دخلا يوازي ٣٤٠ ألف جنيه في العام (بمتوسط عشرين جنيها للفدان) وذلك إذا ما قورن بدخله في ١٩٣٧ الذي كان في حدود مائة ألف جنيه.

الفصل الخامس : الأمير عزيز حسن

الذي التحم بالشعب في ثورة ١٩١٩

قيمه التاريخية و موقفه من ثورة ١٩١٩

كان الأمير عزيز حسن المتوفى مبكرا في ١٩٢٥ أبرز أمراء أسرة محمد علي حرصا على تشجيع ثورة ١٩١٩ حتى انه رأس بعض اللجان والاحتفالات السياسية التي واكبت الثورة، بل وألقى خطبا حماسية، في تأييد الثورة ، كما سافر إلي أوروبا للعمل علي تأييد الحركة الوطنية.

ويذكر للأمير عزيز حسن أنه عبر في حديث له مع جريدة «الأخبار» في مارس ١٩٢١ عن موقفه الصريح بعبارات أكثر صراحة من كثير من الوطنيين المعتدلين (حسب وصفهم لتوجههم) فقال:

«نحن نعتبر أنفسنا جزءا لا ينفصل عن الأمة المصرية، وقد مضي علينا في مصر أكثر من مائة وعشرين عاما، وفي هذه المدة تمتعنا بخيراتها، ونحن لا نعد أمراء إلا بفضل الانتساب إليها، ومن أقدس الواجبات علينا أن نكون قلبا وقالبا مع الأمة، وأن نحس بنفس إحساسها فنفرح لفرحها، ونحزن لحزنها، ونعمل في السبيل الذي تعمل فيه، ويحق لنا أن نفتخر بمجهوداتها»
بل قال الأمير : " ولا يمكن أن نطلب إلا ما تطلبه الأمة بأسرها، وهو الاستقلال التام للبلاد المصرية».

نسبه

هو ابن الأمير حسن ١٨٥٥-١٨٨٧ ابن الخديو إسماعيل الذي توفي في الثانية والثلاثين من عمره ، وهو ملء السمع والبصر ، فهو ابن عم الملك فاروق مباشرة ، وكان ثلاثة من أعمامه حكاما لمصر ، أما والده الأمير حسن فقد وصل إلى مجد عسكري عثماني أعلى من مجد إخوانه الثلاث الذين تولوا الحكم إذ حصل على لقب مشير(مارشال) الدولة العثمانية نظرا لما حققه في حروبها من بطولات .

مسيرة حياته و اشتراكه في الحرب البلقانية

ورث الأمير عزيز حسن عن والده الأمير حسن حبه للفنون الحربية فنشأ جندياً، ودخل الجيش وظل طيلة شبابه أميل إلي الحياة العسكرية، وقد اشترك في عدة معارك حربية أهمها حرب مصر والحبشة، وحرب تركيا وروسيا. وقد تولى قيادة لواء من الجنود المحاربين في الحرب البلقانية وقاد لواء الفرسان في واقعة «قرقليسا». لكنه لم يواصل الخدمة فيه، وإن احتفظ بلباقتة البدنية والعسكرية، وزاول أعمال الزراعة والتجارة، لكنه ظل على صلة بالعسكرية.

هوايته للسيارات

يروى أن الأمير عزيز حسن كان أول من اقتنى سيارة في مصر وقد استوردها من فرنسا وقادها من الإسكندرية للقاهرة علي الطرق الترابية فاستغرقت رحلته ١٢ ساعة كاملة .

وفاته

توفي الأمير عزيز حسن في ٨ ديسمبر ١٩٢٥، واحتفل بتشييع جنازته احتفالاً عسكرياً رسمياً فسارت الجنازة من قصره بشبرا في منتصف الساعة الثالثة إلي ميدان باب الحديد، حيث انضم إليها بقية المشيعين، واستؤنف السير بجنازته إلي مدافن الأسرة الحاكمة بالإمام، حيث ووري التراب.

ذريته

ترك الأمير عزيز حسن أبناء بقوا في مصر بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، و مما هو جدير بالذكر ان الملك فاروق نفسه كان قد اصدر في ابريل ١٩٥١ قرارا خاصا بأقدميتهم أو ترتيبهم فجعل ترتيب الأمير إسماعيل عزيز حسن بعد صاحب السمو الأمير إسماعيل داود وهو ترتيب متقدم فقد كان إسماعيل داود مديرا لسلاح الفرسان ، و جعل ترتيب النبيل حسن عزيز حسن ١٩٢٤ - ٢٠٠٠ بعد النبيل أورخان إسماعيل حسين .

الفصل السادس : الأميرة قدرية حسين

وتأملاتها في المسئلة المصرية المهاجرة إلى باريس

الأميرة قدرية حسين ١٨٨٨- ١٩٥٥ أميرة من الجيل الخامس من اسرة محمد على وهي من بنات عم الملك فاروق مباشرة فهي ابنة السلطان حسين ١٨٥٣- ١٩١٧ ووالدها هي السلطانة ملك ١٨٦٩- ١٩٥٦ ، و توصف بأنها أديبة وفنانة ، وهي نموذج معبر عن بعض سيدات الأسرة العلوية الحاكمة اللائي وصلن في الثقافة والتعليم الى مراحل متقدمة ، و ظهرت ميولهن الأدبية و الفنية ، و اعتدن الارتحال إلى باريس ، والحديث باللغة الفرنسية ، و مع هذا فانهن بحكم قوة التأثير الديني في البيئة المصرية وتماسك البنية الاجتماعية في ذلك العهد ظلن مصريات تماما ، و من دون حاجة إلى ما كان متاحا بسهولة من ازدواج الجنسية أو تقنين ارتباط مدني بفرنسا او سويسرا .

مكانتها بين إختها

كان للسلطان حسين من زوجته الأولى الأميرة عين الحياة (ابنة عمه أحمد رفعت) باشا ابنان هما الأمير كمال الدين ١٨٧٤- ١٩٣٢ ، وأحمد ناظم وابنتان هما كاظمة، كاملة، وكان له من زوجته الثانية السلطانة ملك ١٨٦٩- ١٩٥٦ ثلاث بنات هن: قدرية، سميحة، وبديعة التي ماتت وهي رضيفة . كانت الأميرة قدرية متزوجة من محمود خيرى باشا.

اعمالها الفنية

رسمت قدرية حسين أعمالا صورت فيها مصر و بلاد الأناضول وباريس و يروى أنها كانت تتقن فن التصوير، وصنع التماثيل وقد تعودت هي و شقيقتها سميحة (المولودة ١٨٨٩) السفر إلى أوروبا في سن مبكرة؛ فأتاح لهما السفر فرصة التعرف على الحياة خارج مصر .

من المؤلفات العربية، والتركية، والفرنسية المنسوبة اليها

- "شهيرات النساء في العالم الإسلامي"، في جزأين كبيرين
- "طيف ملكي" ترجمة الأستاذ مصطفى عبد الرازق
- مجموعة «رسائل أنقرة المقدسة»، و«ليلة بهيجة» وهي قطع أدبية تُدرّسُ في مدارس الترك، وباكستان
- "محاسن الحياة"
- "سوانح الأميرة "

أسلوبها و مودوعاتها في سوانح الأميرة

يبدو بوضوح أن الطابع الغالب علي آثارها التي أحببت أن تتركها معبرة عن شخصيتها وحياتها ورحلاتها يجمع بين الانطباعية والرومانسية شأن من كن في سنها وفي ظروفها ، ومع أن هناك مجالا واسعا لاستنطاق نصوصها بكثير من الآراء السياسية و الحضارية فإن بعدها التام عن موقع النفوذ الملكي لم يدفع بأحد إلى مثل هذا التحليل النصوي .

تصور ما حلمت به من تأوهات المسلة المصرية في ميدان الكونكورد

"خيل لي أنها تتأوه فتقول: «أه، من يستطيع إسكات أوجاعي المتأصلة في أعماق قلبي، ومن أين لي ذلك الذي يخفف عني آلام نفسي ويداوي جراحها ببلم كلماته المسلية؟ إنني حتي اليوم أعجب لأمر نفسي"

المسلة تشكو من الحكم عليها بالنفي الي باريس

"لا أدري لماذا حكم عليّ بمثل هذا النفي المؤبد والشقاء الدائم. أنظر حولي فلا أجد رفيقاً أحدثه بما بين جوانحي من الأوجاع والتأملات أو صديقاً يشاركني في أصدق العواطف والإحساسات. أكل الدهر عليّ وشرب وتناولت الأعوام والأجيال وأنا ما زلت في مكاني هذا لا أتحول ولا أتبدل".

المسلة تتحدث عن اكرام الباريسيين لها

"إن القوم هنا قدروني حق قدري وأغرقوني بطوفان من إعجابهم وإعظامهم ثم أحلوني صدر ميدانهم الفسيح، لأحرك في نفوسهم كامن الفضول، ورفعوا قامتي نحو العلاء لأشرف عليهم من سماء مجدي وخيلائي. فما أكثر القادمين لزيارتي في هذا المكان! وما أشد إعجاب الملتفين حولي، المتحدثين بشأني! ينظر القوم إليّ وأنا في مكاني هذا، وسط هذا الميدان العظيم المعداد من أكبر مشاهد هذه العاصمة التي هي مهبط أنوار المدنية الحديثة، نظرهم إليّ نقطة تصل مدنية الأزمنة القديمة بالرقى الحديث".

"لا غرو ولا عجب؛ فإن هيئتي الشرقية من أكبر الدوافع عليّ جذب الأنظار، فهم يعلمون بأنني أثر من آثار العصور السالفة، وإحدي بقايا تلك العظمة الفرعونية الجليلة الشأن، فلا تكاد عيونهم تقع عليّ حتى يتركوا ما حولي من التماثيل والهياكل الحديثة المحيطة بي، ويقربوا مني ليقروا عليّ وجهي تاريخ أيامي الأولي".

"أنا الآن تحت أسرهم وفي قبضة يدهم، فهم يعتزون بي ويفخرون بوجودي بينهم لجليل قدري في الأيام السالفة ولمكانتي السامية بين وقائع العصور الخالية. ولكنني مع هذا الاعتبار والاحترام، ورغم كل هذا الإعزاز والإكرام فأنا لا أزال حتى يومي هذا أعاني آلام الوحدة وأوجاع الانفراد".

الإحساس بشمس الأصيل

"عندما وصلت المسلة إليّ هذا الحد من القول كان النهار قد بلغ غايته وأذن بالأفول، أخذاً أهبطه لوداع سلطنته إليّ الغد، وكانت أنوار الشمس القرمزية قد أغرقت كل ما في الميدان من الألوان المتعددة، وانعكست عليها سهام الأشعة الذهبية الصادرة من السماء حتى خيل لي أنها تلتهب بالأسنة النيران".

"تركتني هذه الأنات والآهات في حيرة شديدة وجعلتني أشعر بأنني أمام لغز غريب تعجز العقول عن إدراك كنهه، وقد هالني الأمر حتى وقفت متعجبة أنتظر نهاية هذه الشكاوي المتجسدة والآلام المفزعة".

تأمل الكتابات علي المسلة

"اشتد إذ ذاك احمرار الغروب فازداد توهج الكتابات المسطورة علي المسلة والحيوانات المرسومة عليها حتي ظهرت للأعيان أجلي وأوضح كأنما قد لبست ثوب الحس والحياة، ثم سمعت بعد ذلك شبه غمغمة آتية من بعيد فأنصت فإذا هي تقول: بلي، ما أنا في هذا الوسط سوي موضع الاستغراب والدهشة، وقليل أولئك الذين يعلمون أمري تمامًا ، ويعرفون أصلي ومنتشئي وشأني حق العرفان.

"ولذا فأنا أعد نفسي في هذه العاصمة الكبرى وحيدة لا حول لي ولا قوة. تحتاط بي أنواع شتي من النهارج والزخارف إلا أنني لا أحفل بها ولا أجد لها طعمًا. فكل أنواع الحركة وضروب السرعة والدبذبة تهز أساسي وتضعف متانتني وتوقعني في دهشة وارتباك؛ لأنني لم أعتد علي هذا النوع من العيش المضطرب، وإنما كانت نشأتي في وسط هادئ تحف به آيات الجلال والسكون. فأنا اليوم أقطع مراحل حياتي بلا أمل، فأحس وأتألم ولكن بدون لذة أو هناءة".

المسلة تشكو والاميرة تتألم لشكواها

"كانت تصل هذه التألمات إلي سمعي فيزداد بي الحزن والأسف إذ كانت تعوزني شجاعة كبيرة لسماع هذه الشكاوي والآلام. واستمرت في حديثها تقول: «وقعت فريسة المرض منذ سنين عديدة وأصبحت أقاسي من جرائه آلامًا نفسية شديدة، فأنا اليوم أقاسي كل أحوال الموت ولا يلحقني الفناء. أنا أعلم الدواء الناجع لدائي ولكن هيهات، فأين أنا منه الآن؟ سوف أظل أنتزع كؤوس المتاعب والأشجان إلي أن يلحقني البلي والدمار؛ لأن داء الشوق لرؤية الأهل دواؤه الناجع ملاقة الوطن "

حركة المرور تمنع سماع بقية شكوي المسلة

"وما كادت تتم كلماتها هذه حتي ارتجت بنا الأرض علي إثر مرور إحدي وسائل النقل السريعة من جانبنا، أعني سيارة ضخمة أحدث مرورها تزلزلًا في الأرض حال دون سماع بقية كلماتها. ثم نظرت حولي فرأيت كل شيء يؤذن بدخول ليل فاتر، يحف به موكب من النسيم العليل، تهتز لرقته دقائق الأثير، ثم رميت بطرفي إلي القبة الزرقاء فإذا «الزهرة»، تلك النجمة الساطعة، زينة السماء وأبهي عرائسها،

قد ظهرت وابتدأت ترسل ابتساماتها الجذابة لبقية الكواكب التي أخذت تستعد لرد تحيتها. كنت أري العربات والسيارات وجماعات المشاة يهرولون جميعاً بسرعة زائدة نحو غابة باريس، ليلتجئوا في حمي خضرتها المملوءة بالأسرار والأعاجيب، مؤملين وجود السعادة بين أحضان تلك البقعة الزمردية".

المسلة تستوقف الاميرة لتكمل شكواها

"نظرت ثانية إلي المسلة فإذا هي غارقة في لجة عميقة من التأمل والتفكير، بعيدة كل البعد عن الضجيج المحيط بها فأخذت أهبطي للمسير فما كدت أتحرك حتي سمعتها تقول: «بربك قفي وأنصتي قليلاً لحديثي.» فعجبت من ذلك أشد العجب ووقفت مبهوتة أقول في نفسي: ما أعجب ذلك! إنها كانت شاعرة بأنني كنت صاغية لشكااتها، فلم يكن شكواها إلي مجرد هذيان. فأعرتها سمعي وانتباهي لأعي ما تقول تمامًا فإذا بها تقول: «أناشدك المروءة ألا تنهبي لأنه عندي ما أقوله لك فهذا أنا ذا أري في عينيك الرغبة في سماع شكاتي وأشجاني، وأشعر بأنك تشاركيني فيها بقلبك وسمعك. فاصبري لم يبق إلا القليل ولا تمضي برهة صغيرة حتي أفيض بمكونات صدري في قلبك الرقيق كما يفيض النيل علي شاطئيه. فكوني أنيسة روعي ولو لمدة وجيزة وأشفقي علي لأجل الذكريات القديمة. ثم ارحمني لآلام الغربية التي أنوء بحملها الآن. مضت علي مدة مديدة لم أشك بالآمي لإنسان ما، وما كدت أراك حتي انتهزت هذه الفرصة لإفراغ ما في النفس من الآلام والآمال."

المسلة تسأل الاميرة عن النيل واخواتها في مصر

"حدثيني عن الأوطان وخبريني عن أخواتي المسلات الباقيات هناك، تلك البقية الباقية من آثار السلف الدالة علي التفنن والإبداع، هل بقين مثلي في متانتهم وروائهم حتي اليوم؟ إنني ما زلت أحفظ لهم حباً كامناً في صدري، وأتذكر حسن جبرتهم وجميل عسرتهم. إن قلبي صخري متين، وكذلك حافظتي قوية لا تنسي شيئاً يمر بها، فإن أنا نسيت فلا أنسي تلك الصحاري الذهبية والليالي المقمرة الفضية. أين أنت الآن أيها النيل العذب؟ أنا مشتاقة لمنظر جريانك الجميل، ورؤيا القلوع البيضاء التي تحرك المراكب بين شاطئيك! إن مناظر الغروب الجميلة لا تزال مرسومة على لوح خاطر، وسحر تلك الليالي الجذابة لا يمكن نسيانها أبد الدهر"

مناقير الطيور في رسوم المسلة

" انظروا إلي عيون الطيور المرسومة عليها، كيف تنتظر إلينا ببرود واحتقار، ولولا يقيني بأنها صور لا تحس ولا تشعر، لخيّل لي أن مناقيرها الحادة تمتد إلينا بالأذى. إن الإنسان لا يتمالك نفسه من ابتسامة يرسلها في الفضاء عندما يري هيتها.

المسلة تطلب من الاميرة أن تذكرها عند أهلها

ثم تضاعل صوتها بعد ذلك حتي أصبح غير مسموع، إلا أنني أجهدت نفسي فسمعتها تقول: «اذهبي الآن غير مأجورة يا أنيسة روعي في هذه الليلة واطركيني لهمومي وأشواقي، وإذا ما عدت إلي الأوطان فاذكّرني عند أهلي، ودعيهم لا ينسوني وأخبريهم بأنني علي استعداد لأن أفدي كل هذه البهارج والزخارف تلقاء ساعة واحدة أجد فيها نفسي بين أحضان تربتي الأولى.»

الاميرة تنقل حوارات زائري المسلة في الليل وتشكر لويس فيليب

"وقد أثرت في كلماتها الأخيرة أيما تأثير، ونفذت إلي أعماق قلبي كأنها سهام نارية، فجمدت في مكاني مبهوتة حيري، ولم أتحرّك إلا أثر سماعي أصوات بعض القادمين لزيارتها، حيث سمعت بعضهم يقول: «ما أعجب أمر هذه المسلة، وما أبهي منظرها في الليل! انظروا إلي الكتابات المنقوشة عليها، كيف تتوهج كالنبر، ثم انظروا إلي جلال قامتها وامتزاج شكلها وانتلافه بهذا الميدان العظيم. يقولون: إنها من أقدم الآثار وأجلّها شأنًا. بارك الله في همة «لويس فيليب» ناقلها إلي باريس، فقد تجشم في سبيل ذلك كثيرًا من النفقات والمتاعب".

قصيدة أو أسطورة

" إن لهذه المسلة شخصية غريبة في وسط هذا الميدان الحديث؛ فهي قصيدة شعرية بقيت لنا منذ الأزل، بل أسطورة تاريخية تحدثنا، نحن الواقفين علي أسرارها المطلعين علي خفاياها، بوقائع الأزمنة السالفة فلتحيا مسلة باريس المصرية وهي موضع الدهشة والاستغراب بطيورها ورموزها، ولتدم سنين عديدة في مكانها، تلهب في النفوس نيران الغيظ والحسد بقدها المأسس".

الباب الثاني : الأعيان الذين صنعتهم السياسة

الفصل السابع : محمود سليمان باشا

زعيم الصعيد الذي عاش قرناً من الزمان

محمود سليمان باشا (١٨٣٧ - ١٩٢٩ وفي بعض الأقوال انه ولد ١٨٤١) الملقب بعميد الأسرة السليمانية واحد من أهم وجوه الحياة الوطنية، رزق طول العمر وحسن السمعة ، و استطاع ان يتجنب تماما صورة المتعاون مع الانجليز حين كان هذا التعاون مفروضاً بالقوة بعد فشل الثورة العربية . يعرف محمود سليمان باشا بأنه الرجل الذي وصفه ابنه محمد محمود باشا رئيس الوزراء الشهير: «أنا ابن من عُرض عليه الملك فأبي»، وهي رواية وحيدة لا تسندها رواية أخرى أما ابنه الثاني حفي محمود فكان وزيراً ١٩٤٥ في ائتلاف الدستوريين والسعديين.

نسبه و نشأته

هو محمود باشا سليمان بن عبد العال بن عثمان، وينتهي نسبه إلى قبيلة بني سليم المشهورة في الحجاز، ولد في مركز ساحل سليم، ولمّا بلغ السابعة من عمره أحضر والده العلماء في المنزل ثم التحق بالأزهر الشريف فدرس فيه بعض الوقت .

صعوده في عهد الخديو إسماعيل

كان محمود سليمان باشا في عهد الخديو إسماعيل «وطنيّاً مسموع الرأي و الكلمة» وفي سنة ١٨٦٧ عين ناظراً لقسم (أبو تيج) ثم رقي وكيلاً لمديرية جرجا ولمدرية أسيوط ، ثم استقال وتفرغ لإدارة أرضه .

أعماله الخيرية

أسس محمود باشا سليمان في بلدته مسجداً، ومدرسة صناعية في أبو تيج سميت باسمه، وأوقف عليها مساحة من الأرض.

علاقته بالحكام

زاره في بيته ثلاثة من حكام الأسرة العلوية : الخديو توفيق والخديو عباس و السلطان حسين كامل في أثناء جولاتهم في الصعيد.

دوره في عهد الخديو توفيق

انتخب محمود سليمان باشا عضواً بمجلس النواب في أول عهد الخديو توفيق، وكان هو العضو الذي ألقى خطاب العرش ، لكنه سرعان ما استقال عندما رأى علامات الثورة العرابية ، وقد وصف الدكتور هيكل باشا موقفه بقوله :
"فلما شبت نار الثورة العرابية كان من بعيدى النظر الذين قدروا ما يمكن أن يصيب البلاد من جرائها، فتنحى عن الاشتراك فيها".

وصف د. هيكل لتنحيه عن السياسة بعد فشل الثورة العرابية

" ... تنحى بعد ذلك عن الاشتراك في النظام الذي أعقبها، فمع هذه المكانة الكبيرة التي كانت له، ومع ما أظهر من مقدرة في مجلس النواب الذي سبق الثورة، ومع أنه لم يكن من أنصار الثورة وأعاونها، فإنه لم يرَ بعد فشل الثورة واحتلال الإنجليز لمصر أن يتقدم للعمل العام تحت النظام الجديد الذي سنه الإنجليز لمصر حين استصدروا من الخديو قانون مجلس الشورى والجمعية العمومية، بل تنحى عن العمل العام وترك القاهرة إلي السعيد، وعكف علي عمله الخاص وعلي البر بالفقراء"

عودته للسياسة

اعتزل محمود سليمان باشا السياسة من سنة ١٨٨٣ إلي سنة ١٨٩٥ الى أن عين عضواً في مجلس شورى القوانين :
"وظل كذلك حين أخرجته ظرف محلي خاص من هذه العزلة وجعله يتقدم لعضوية مجلس الشورى،"

رئاسة حزل الأمة ودوره في عهد الخديو عباس

اختير محمود سليمان باشا وكيلاً لمجلس شورى القوانين فكانت له فيه مواقف

مشرفة. وانتخب رئيساً لحزب الأمة ورئيساً لمجلس ادارة تحرير صحيفة «الجريدة» التي صدرت عام ١٩٠٧ قبل تأسيس حزب الأمة ، وأصبحت لسان حال ذلك الحزب وهي الصحيفة التي رأس تحريرها أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد.

د. هيكل يرى أنه أول من ترأس حزباً ذا برنامج

"وإذا كان للتاريخ أن يذكر السابقين إلي الأحزاب المنظمة، فإن محمود سليمان باشا هو أول من ترأس حزباً ذا برنامج ونظام في مصر، فلقد كانت الأحزاب المصرية إلي يوم تشكيل حزب الأمة تقوم علي فكرة الدعوة لعمل واحد معين، فالحزب الوطني أيام عرابي باشا كانت مطالبه محصورة في الدستور وفي التسوية بين المصريين والأتراك من رجال الجيش، والأحزاب والهيئات التي جاءت بعد ذلك كانت تطلب مطلباً واحداً كجلاء إنجلترا عن مصر أو ما هو من ذلك بسبيل، اما حزب الأمة فكان أول الأحزاب التي وضعت لها برنامجاً مفصلاً يتناول مرافق البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية جميعاً، وعلي نهجه سلكت الأحزاب الأخرى بعد ذلك. ولقد تألف حزب الأمة علي هذه الصورة في أخريات سنة ١٩٠٧ "

د. هيكل يصف دوره في وكالة المؤتمر المصري

انتخب محمود سليمان باشا ليكون وكيل المؤتمر المصري الذي رأسه مصطفى رياض باشا رئيس الوزراء الأسبق لإعادة الألفة بين المسيحيين والأقباط عام ١٩١٢ وذلك في مواجهة المؤتمر القبطي الذي انعقد في أسيوط :

" لما حدثت أسباب للخلاف بين المسلمين والأقباط وكان من أثرها أن عقد الأخيرون مؤتمر أسيوط يتهمون فيه حكومات ذلك العصر بأنها تُنتهي الأقباط من مناصب الحكم ولا تعطيهم حظهم الكامل منها، وكانت هذه الحركة خطيرة النتائج، كان محمود سليمان باشا من الذين تقدموا للقضاء عليها ولإعادة الألفة بين العنصرين، ولذلك تألف المؤتمر المصري بهليوبوليس واختار رياض باشا رئيساً له ومحمود سليمان باشا وكيلاً له، وفند مزاعم الأقباط يومئذ وأظهر الناس علي أن لهم من مناصب الحكم أكثر من نسبتهم العددية بكثير، ودعاهم إلي أن يكونوا في وحدة الأمة صفاً.

تشجيعه السلطان حسين على قبول العرش من الانجليز

يروى أنصاره أن السلطان حسين استشاره حين عرض عليه الإنجليز عرش مصر، فكان جوابه بقبول السلطنة، فقال له السلطان حسين: «ولكني أخشي إذا قبلتها أن يقال إني اغتصبت حق ابن شقيقي في أثناء غيابه»، فقال له محمود سليمان: «ولكننا نحن نخشي ما هو أعظم من ذلك نتيجة وأبعد منه أثرا، إنني أخشي أن يفقد الحكم لو ترددتم وتراجعتم فلا تخرج مقاليدك عندئذ من يد ابن شقيقكم فقط، بل يخرج من أيدي أبناء محمد علي كلهم».

منحه نيشان النيل

بعد تولي السلطان حسين للعرش بفترة قصيرة حرص السلطان حسين كامل علي تكريم محمود سليمان باشا وأنعم عليه بنيشان النيل.

الانجليز يعتقلونه وهو رئيس للجنة الوفد المركزية في ثورة ١٩١٩

انضم محمود سليمان باشا إلي حركة الوفد مع سعد زغلول، وبعد اندلاع أحداث الثورة تولى رئاسة لجنة الوفد المركزية فاعتقل بقصر النيل، إذ دعي هو وإبراهيم سعيد باشا إلي مركز القيادة العامة البريطانية في فندق سافوي لمقابلة القائد العسكري البريطاني العام الذي أنذرهما بوجوب مغادرة العاصمة إلي مزارعهما، وسرعان ما اعتقلا بثكنات قصر النيل، فأمضيا فيها ثلاثة أيام انضم إليهما في آخرها علي ماهر باشا. وفي اليوم الرابع نقل محمود سليمان إلي «ذهبيته» في النيل في حراسة الجنود البريطانيين، ثم أفرج عنه وسافر لبلده ساحل سليم.

محاولة لجنة ملنر الاتصال به

لما وصلت لجنة ملنر إلي مصر كان من بين أعضائها المستر رود أحد أصدقاء محمود سليمان باشا القدامى، فأرسل إليه يبلغه أنه يرغب في زيارته، فرد عليه محمود سليمان متسائلا: «هل يريد أن يزوره بصفته صديقا قديما له أم بصفته عضوا في لجنة ملنر؟»، فأجابه المستر رود بقوله: «إني أبغي زيارة سعادتك كصديق قديم» فأرسل إليه يقول: «علي الرحب والسعة».

أول من هنا سعد زغلول بعودته من منفاه في جبل طارق

ومع اشتداد الخصومة بين الأحرار الدستوريين و"سعد زغلول باشا"، فإن محمود سليمان باشا كان أسبق من أرسل إلي سعد باشا زغلول أثر عودته من منفاه في جبل طارق يهنئه بسلامة مقدمه.

د. هيكل يصف موقفه من الخلاف بين سعد والعدليين

"ولما أن للبلاد أن ينقسم بعضها علي بعض وأن تقوم بين أهلها الفتنة، اعتزل الميدان نهائياً وإن لم ينس قديم صلته بأصدقائه سواء منهم من كان في فريقه السياسي أو من كان في فريق مخاصم له ، وكذلك كان في هذه كما كان في غيرها عظيماً سامياً فوق شهوات الساعة، كبيراً عن أن يتأثر بالأهواء الطارئة".

من رثاء الشيخ مصطفى عبد الرازق

"كان محمود باشا سليمان، رجلاً وجيهاً في قومه، جمع بين جلال السن وجلال المجد القديم والغنى الموروث، من بيت حُكام إداريين في إقليم الصعيد، في ذلك العهد الذي لم يكن يصل فيه إلي مناصب الحكم من المصريين إلا القليل".

من رثاء الدكتور هيكل باشا لمحمود باشا سليمان

" جاهد لخير وطنه في شبابه، ثم جاهد له في كهولته، ثم جاهد له وقد نيف علي التسعين وبعد اعتزامه الانقطاع إلي الله وعبادته، فلما دب الخلاف بين المصريين واندلع لهيب الفتنة في البلاد نأي عن الفتنة مختاراً وعكف علي ما اعتاد من عبادة وتقوي، وظل في تقواه وفي عبادته ينتظر بقلب مطمئن ونفس هادئة اليوم الذي يختاره الله فيه إلي جواره".

" وليس كثيرون من يذكرون هذا الرجل المهيب في وقاره النحيف في جسمه الطويل القامة في اعتدال، الحاد النظرات الأسمر اللون الجليل المشيب".

وفاته

توفي محمود سليمان باشا في ساحل سليم يوم الثلاثاء ٢٣ يناير ١٩٢٩.

الفصل الثامن : علي شعراوي باشا

الاقتصادي الفاعل الذي مارس السياسة في هدوء

مكانته في التاريخ

على شعراوي باشا (ح ١٨٤٨ - ١٩٢٢) هو أحد الثلاثة الذين بدأت بهم حركة الوفد المصري مع سعد زغلول باشا، وعبد العزيز فهمي، ويروى أنه عند مقابلتهم السير ونجت (عقب انتهاء الحرب) كان هو الذي قال له التعبير الجميل الصريح: «نحن نريد صداقة الحر لا صداقة العبد للسيد». وهو ثانياً أحد السبعة الذين تأسس بهم الوفد، وكان أميناً للصندوق، بيد أنه أثر البعد عن الصدارة حينما وقع الخلاف بين سعد وعدلي. ومع أن زوجته السيدة هدى شعراوي تصدرت حركة النساء في الثورة فإنه هو نفسه أثر الابتعاد عن الصدارة التي كان موقعه في بدء الثورة يؤهله لها، وقد توافق هذا مع كبر سنه، واعتلال صحته، وبالفعل فإنه لم يلبث أن توفي.

زوجته و خاله و ثرواتهم

زوجته هي السيدة هدى شعراوي ١٨٧٩ - ١٩٤٧ وهي ابنة خاله محمد سلطان باشا، وقد تسمت باسم زوجها لا باسم أبيها ، بل إنها لم تكن أبدا تذكر أنها ابنة محمد سلطان باشا بسبب موقفه غير المحبوب من الثورة العرابية. وقد ترك خاله لابنته هدى وشقيقها عمر ١٢ ألف فدان، وكان علي شعراوي قد تزوج في فترة باكورة وأنجب ولده الأكبر حسن باشا شعراوي، ثم أنجب من هدى ابنها محمد شعراوي بك. وقد كان علي شعراوي باشا العضو المصري الوحيد في مجلس إدارة شركة الدائرة السنوية وهي أكبر شركة مالية في مصر في ذلك الوقت

مكانته في عهد الخديو توفيق

كان علي شعراوي باشا من أعيان المنيا، وعضوا في البرلمان ، ثم كان عضوا في مجلس شورى القوانين، وكان نشطا دائم المناقشة معنيا بالتفصيلات.

اشتراكه في تأسيس الجريدة وحزب الأمة

كان علي شعراوي باشا من مؤسسي صحيفة الجريدة في ٩ مارس مع محمود سليمان باشا وهي الصحيفة التي رأس تحريرها الأستاذ أحمد لطفي السيد ، و ظلت تصدر حتى ٣٠ يوليو ١٩١٥ .
وكذلك كان علي شعراوي باشا من مؤسسي حزب الأمة في ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ .

عضوية الجمعية التشريعية و تبلور مكانته قبل ثورة ١٩١٩

انتخب علي شعراوي باشا عضواً في الجمعية التشريعية ١٩١٣ ، وهكذا أصبح واحداً من أبرز نواب الشعب التقليديين الذين وصلوا نيابتهم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، مثل زميله عبد اللطيف الصوفاني، وإبراهيم سعيد.

ثناء عبد العزيز فهمي عليه في كتابه " هذه حياتي "

" أما علي شعراوي باشا فكان من خيرة الوطنيين المخلصين بل من أخلص رجال مصر، وأكثرهم حبا لوطنه، وكان جريئاً في الحق، يقول ما يعتقد، ويحافظ على كرامته، ولا يمتنها مهما كانت الظروف".

شهادة عفاف لطفي السيد

وصفته الدكتورة عفاف لطفي السيد بأنه كان طاهراً في سلوكه ومحافظاً على تقاليد بيئته التي نشأ فيها، وقد ظل إلى أن رحل متمسكاً بلهجته الصعيدية.

مديح الأستاذ محمد السوادي لشخصه

"كان علي شعراوي باشا رجلاً مهيب الطلعة جليل المشية تقياً صالحاً، عرف فيه معاصروه صفات الطهارة والاستقامة من بدء حياته حتى نهايتها .

وفاته

توفي علي شعراوي باشا سنة ١٩٢٢ .

الفصل التاسع : أحمد يحيي باشا

الباشا السكندري الذي أنجب رئيسا للوزراء ومات في الحج

مكانته في الإسكندرية

كان أحمد يحيي باشا بمثابة ملك اسكندرية ، أو عمدتها ، أو رجلها الأول ، وهو الذي تأسس باسمه المسجد المشهور في زيزنيا علي شارع أبو قير الرئيسي. وقد كان من كبار تجار القطن، ومن أنصار حزب الوفد منذ تأسيسه، وفيما قبل ذلك كان عضوا في مجلس بلدي الإسكندرية، كما كان نائبا عن المدينة في مجلس شوري القوانين، وهو بلا جدال أكثر مَنْ يستحق الوصف بأنه رائد العمل الأهلي، والمجتمع المدني، والنشاط السياسي، والحركة الوطنية في مدينة الإسكندرية. بالإضافة إلي هذا فإنه هو رأس أسرة شهيرة من رجال العمل السياسي الوطني، كان منها أبنة الأشهر رئيس الوزراء عبد الفتاح يحيي (١٩٣٣ - ١٩٣٤) وابنه الآخر الذي لم يكن يقل شهرة ولا نفوذا وهو أمين يحيي أحد الثلاثة الذين أسسوا لجنة التجارة والصناعة، وأحد كبار المساهمين في أول شركة مصرية لتصدير القطن. وأما حفيده فهو علي أمين يحيي الذي كان في زمنه من أنشط الوجوه الشابة في الحياة السياسية والذي لعب دورا بارزا في مساندة عمه وهو رئيس للوزراء .

جمعية العروة الوثقى

شارك أحمد يحيي باشا بجهد وافر في تأسيس جمعية «العروة الوثقى» التي ترأس مجلس إدارتها محمد سعيد باشا رئيس الوزراء فيما بعد ، كما أسهم في تأسيس الملجأ العباسي في الثغر، وهو الملجأ الذي سمي باسم الخديو عباس حلمي ، و هكذا احتل أحمد يحيي باشا مكانة متميزة في المجتمع السكندري منذ مرحلة مبكرة في حياته،

المجلس البلدي

ساعدته مكائته المجتمعية علي أن يختار (بالانتخاب) عضوا في المجلس البلدي لمدينة الإسكندرية عدة مرات، وكان لهذا المجلس شأن كبير في العمل التنفيذي، والإدارة المحلية علي حد سواء، وإلي هذا المجلس يعود معظم الفضل في التقدم الحضاري والسياحي الذي أحرزته مدينة الإسكندرية منذ بداية عصر النهضة، وهو المجلس الذي خلده بيرم التونسي بقصيدته الشهيرة المنتقدة لسطوة المجلس، وجديته وضرائبه، ورسومه.

ومن خلال هذا الموقع في المجلس البلدي تفتحت مدارك أحمد يحيي باشا علي الآفاق العليا للعمل العام " التمثيلي " غير المرتبط بسلطة الحكومة ، وأن كان معتمدا عليها في التنفيذ و الإلزام ، كما أدرك قدرة هذا العمل الجماعي المنظم علي تخطيط استراتيجياته الذكية ، وتشريعاته المتزنة الضامنة لتقدم البيئة و أمنها ، وسلامتها الصحية، و القدرة علي المشاركة في خدمة الجماهير من خلال العمل المؤسسي والتشريعات واللوائح ، والرقي بالمدينة إلي الحد الذي وصلت إليه في ذلك العهد المبكر.

تطوير منطقة الميناء الشرقي

اختير أحمد يحيي باشا عضوا في اللجنة التي تولت إنشاء التطوير الحضري الجميل الذي يعرف الآن باسم الميناء الشرقي، وهو ما يناظر ميناء الإسكندرية القديم قبل نشأة الميناء الحالي الضخم الذي يقع الي الغرب من المدينة. ومن هنا جاءت تسمية المنطقة بالميناء الشرقي ، و ذلك علي الرغم من انها تقع في غرب مدينة الإسكندرية ، و قد بذل جهده في متابعة ما تطلبه هذا الإنشاء الذكي من إقامة حاجز الأمواج، وصباعة واجهة المدينة في هذه الناحية علي النحو المتميز الذي لاتزال محتفظة به بما فيه من التناسق والاتساق والالتزام بالمعايير الجمالية المنضبطة .

في البرلمان وثورة ١٩١٩

و علي المستوي القومي اختير أحمد يحيي باشا بالانتخاب عضوا عن دائرة الإسكندرية في مجلس شوري القوانين.
شارك أحمد يحيي باشا بجهد بارز في ثورة ١٩١٩، مشاركة فاعلة مخلصه .
وكانت الإسكندرية بفضلها هو وزعماء الازهر من طبقة الشيخ عبد المجيد اللبان من أهم معاقل الثورة ، وكان الوفد يعتبره زعيم الإسكندرية.

استقبال سعد زغلول باشا عند عودته من المنفى

كان أحمد يحيي باشا هو الذي تولى تنظيم الاستقبالات الحاشدة لسعد باشا زغلول عند عودته من المنفى وتذكر أدبيات ثورة ١٩١٩ أنه سعد إلي الزعيم سعد زغلول باشا في عرض البحر ليصطحب زعيم الأمة ومن عادوا معه في مرورهم بين الجماهير المحتشدة لتحية سعد باشا من جميع أنحاء الوطن .

وفاته

شاء الله أن يتوفي أحمد يحيي باشا في أغسطس ١٩٢٢ في مكة المكرمة وهو يؤدي فريضة الحج بعدما أعلن استقلال مصر مباشرة.

الفصل العاشر: الشيخ عبد الرحيم الدمرداش

الذي تبرع بكلية طب عظيمة

مكانته الصوفية

كانت للشيخ عبد الرحيم الدمرداش 1851-1929 مكانته المرموقة إذ كان شيخ الطريقة الدمرداشية ، وكان الشيخ الأشهر من بين مشايخ الطرق الصوفية بمصر، إذ دامت مشيخته لطريقته لأكثر نصف قرن. وقد كان والده الشيخ مصطفى من شيوخ التصوف ، أما جده فهو البكباشي صالح بك الجركسي الأصل.

نشأته

ولد الشيخ عبد الرحيم الدمرداش بالقاهرة ونشأ بها، وتلقى تعليماً دينياً تقليدياً بدأه في أحد الكتاتيب حيث حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر الشريف، وتتلّمذ للشيخ عبد الرحمن الرافعي الحنفي، والشيخ عبد المعطي الخليلي، وأخذ التصوف عن والده، وصاحب كثيراً من العلماء، وجالسهم، وانتفع بعلمهم كثيراً، وكان من هؤلاء من يناظرونه في السن كالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، والشيخ عبد الكريم سلمان، ومن يصغرونه كالشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر.

عين شيخاً للسادة الدمرداشية وهو في الرابعة والعشرين

عرف عن الشيخ عبد الرحيم الدمرداش حبه للثقافة التاريخية والجغرافية ، وعندما توفي والده عين شيخاً للسادة الدمرداشية، وكان لا يزال في الرابعة والعشرين سنة، ، فأثاحت له شخصيته المتميزة المثقفة واستمراره في هذا الموقع منذ شبابه دوراً صوفياً واجتماعياً وسياسياً كبيراً في مجتمعه، وأتيح له أن يصبح علماً علي رجال التصوف في عصره حتي قيل إنه نهض بالطريقة التي رأسها نهضة لم يسبقه إليها شيخ طريقة قبله ، بل أصبحت الطريقة الدمرداشية علي مستوى العضوية تضم كثيراً من العلماء، والوزراء، والأعيان، وكبار الموظفين.

مكانته في عصره

كان الشيخ عبد الرحيم الدمرداش بالإضافة إلي انتمائه لطبقة الأعيان و الباشوات و كبار الساسة يعامل عند البريطانيين بأعظم ما يمكن أن يعامل به أجنبي ، و كان يحظي بما يعامل به من نال أعظم ألقاب الشرف الإنجليزية وهو لقب السير Sir

قبره ومستشفاه

دفن الشيخ عبد الرحيم الدمرداش في قبر أعده لنفسه ولا يزال قائما حتي الآن في حرم مستشفى الدمرداش الذي أنشأه، و وقفه لأعمال البر و علاج المرضى ، و من العجيب أن ذلك العام الذي أنشأ فيه مستشفاه شهد إنشاء مستشفى قصر العيني الجديد المعروف باسم مستشفى المنيل الجامعي والذي هو مستشفى كلية الطب الأولى في العاصمة المصرية ، و لما كان التطور الاجتماعي يقتضي إنشاء كلية طب ثانية في العاصمة فإن هذه الكلية الثانية حين بزغت إلي طور الوجود أنشئت في رحاب مستشفى الدمرداش ، و عرفت بهذا الاسم قبل أن تتأسس جامعة عين شمس التي ضمتها ، فقد كان هذا المستشفى أنسب مؤسسة علاجية متميزة و متاحة لهذه الوظيفة الجامعية .

و كان الشيخ عبد الرحيم الدمرداش حين أسسه قد أوقفه و أباحه لبني الإنسان من جميع الأديان.

شروط وظيفته

اشترط الشيخ عبد الرحيم الدمرداش علي الحكومة المصرية حين أهدى مستشفاه لها أن تستبقي مديره الإنجليزي في وظيفته حافظا هلى مستوى المستشفى .
ويكفي لتصوير قيمة و عظمة هذا المستشفى أن نشير إلي أنه لا يزال علي نحو ما أنشئ يمثل المستشفى الرئيسي أو النواة أو الأيقونة لكيانات كلية طب عين شمس الضخمة و المترامية الأطراف ، و التي أصبحت مع الزمن من أبرز كليات الطب في العالم العربي .

توجهاته السياسية

أما الأمر التاريخي البارز في سيرة حياة الشيخ الدمرداش فهو أنه كان يمارس السياسة علي نطاق واسع، وكان معروفا بقربه الحميم من الإنجليز عقليا وسياسيا حتي إنه كان في نظرهم بمثابة النموذج المفضل لرجل الدين، ورجل السياسة.

كان يري أن مصلحة مصر مصادقة البريطانيين تماما

نال الشيخ عبد الرحيم الدمرداش كل الدعم و التكريم المتاح من البريطانيين، ولم يكن هذا بكثير علي رجل كان يجاهر برأيه العميق في أن مصلحة المصريين تكمن في مصادقة البريطانيين مصادقة تامة. وكان يعتقد تماما و بصفة مطلقة في صواب هذه الرؤية (التي يسهل وصفها بأنها رؤية ضيقة في الوطنية) ، و بالإضافة إلي هذا فإنه في مستوي البرلمانات والعمل التشريعي والسياسي كان الشيخ الدمرداش عضوا في مجلس شوري القوانين، وعضوا في الجمعية العمومية.

مكانته الاجتماعية

ظل الشيخ الدمرداش وجها من وجوه المجتمع المصري في عصره، وكان كثير الأصحاب والمعارف، وكان قادرا علي أن يستزيد في هذا الميدان، وعلي مستوي الصفات الشخصية كان جميل الحديث والهدام، وكان يميل إلي الفكاهة، وكان يعتمد علي نفسه في جميع أعماله، وقد نمي ثروته إلي الحد الذي رفع به شأن بيته ، و عد من كبار رجال المال في عصره.

ابنته قوت القلوب الدمرداشية

أما علي مستوي الذرية فقد اشتهرت ابنته السيدة قوت القلوب الدمرداشية ١٨٩٢- ١٩٦٨ بميولها الأدبية ، وبدعمها لجهود الأدباء والصحفيين ، وعلاقتها الوثيقة بهم ، وتمويلها لعدد من المسابقات الأدبية، وبتنميتها لثروتها وبوفائها لذكري والدها إلي حد كبير وربما نتناول هذا إن شاء الله عن قريب .

جدد الزاوية الدمرداشية

يذكر للشيخ عبد الرحيم الدمرداش أنه جدد الزاوية الدمرداشية وجعلها مسجدا كبيرا، وزاد في عدد الخلوات المعدة لاختلاء الدمرداشيين، ومن الجدير بالذكر أن الطريقة الدمرداشية تتميز بنظام رياضي وروحاني خاص وصعب، لكنه علي كل حال يهيئ لها من أتباعها قوة بشرية قادرة، وعلي سبيل المثال فإن علي كل عضو في هذه الطريقة أن يواظب (لمدة لا تقل عن سنتين) علي الليالي التي تقيمها في مسجد الدمرداش مساء كل خميس حيث يقيمون شعائرهم الدينية، ويبتهلون إلي السماء بدعائهم تحت قبة المسجد ، وبعدها ينظر أحد النقباء في أمره، ويتأكد بنفسه من سيره، فإن وجده طيبا مرضيا قيد اسمه ضمن لائحة المرشحين لنيل العهود من الزعيم الأكبر، والعهود لا تمنح إلا في ليالي الخميس من شهر رمضان. ويذكر أن لهم سبحة خاصة لا ينالها إلا المقربون، ويبلغ عدد حباتها مائة حبة، وأما الخلوة فهي عندهم مكان مقدس، لا تزيد سعة الواحدة منها علي مترين، ويدخلها المرید في أول يوم الاثنين من شهر رمضان، ولا يغادرها إلا في ليلة الخميس التالية، ولا يأكل في الخلوة إلا الأرز والسكر والقهوة. ولهم تقاليد عند الوفاة، وهي أنهم إذا فجعوا ب وفاة واحد منهم يسرعون إلي بيته ويحتفلون مقدمة المشهد، ويقولون في سير الجنازة نغمات خاصة هي: «هوه لا إله إلا الله» مرارا وتكرارا حتي يصلوا إلي المقبرة.

اهتمامه بطقوس الصوفية

كان الشيخ الدمرداش يقرأ ورده في فجر كل يوم، وكان مواظبا علي إحياء الحضرات كل أسبوع، وعلي إقامة المولد في كل عام

وفاته

توفي الشيخ عبد الرحيم الدمرداش في ١٩٢٩ عن ثماني وسبعين سنة و كان قد أصبح منذ مدة أبرز رجال الطرق الصوفية المصريين في عصره ، وقد احتفل بجنازته احتفالا كبيرا يليق بنائب و عضو برلمانات و باشا و شيخ طريقة.

الفصل الحادي عشر : إسماعيل باشا أباطة

هل كانت زعامته تجربة مبكرة لزعامه سعد زغلول باشا

من عجائب الأقدار أن الذين هندسوا مسار الخط الأول مترو القاهرة اختاروا للمحطة التي سُميت باسم سعد زغلول أن تقع في شارع إسماعيل أباطة، كان السبب اللوجيستي الذي جاء باسمي هذين الرجلين الذين عاشا مختلفين ومتنافسين هو أنهما تُوفيا في عام واحد ، فقد توفي إسماعيل أباطة باشا في يناير ١٩٢٧ ثم توفي سعد باشا في أغسطس ١٩٢٧ ، وهكذا سُمي شارع باسم إسماعيل أباطة باشا في منطقة الدواوين التي يقع فيها أيضا بيت الأمة (بيت سعد زغلول) كما شيد فيها ضريح سعد (ضريح سعد زغلول) والذي أطلق اسمه علي الشارع الذي يقع فيه الضريح، و يقع فيها أيضا شارع صافية زغلول.

فلما تمت أعمال بناء المترو الحضري الأول تحت الأرض ، شيدت في هذا الشارع مداخل ومخارج محطة سعد زغلول و هي المحطة التي تقع بين محطة مترو السادات (التي تقع في ميدان التحرير) ومحطة مترو السيدة زينب. هكذا اقترن هذان الرجلان في مامتهما بحيث إنك لا تصل إلي محطة سعد زغلول إلا عبر شارع إسماعيل أباطة، ولا تخرج منها إلا عبر شارع إسماعيل أباطة ، وبحيث أن شارع إسماعيل أباطة أصبح لا يُعرّف في الغالب إلا بأنه الشارع الذي فيه محطة مترو سعد زغلول وهكذا.

مكانته التاريخية

كان إسماعيل أباطة باشا في جيله هو عميد الأسرة الأباطية ، ومن بين أجيال الأباطية جميعا فقد كان إسماعيل أباطة باشا هو صاحب أول دور سياسي إيجابي فاعل ، فقد كان له شأن كبير في الحركة الوطنية، وكانت له علاقات حسنة بالخدوي عباس حلمي، ويمكن القول بأنه كان أقرب الوجهاء المصريين إلي توجهات ذلك الخديو ، فلم يكن علي اختلاف دائم أو تجاذب معه مثل الشيخ محمد عبده ، أو سعد زغلول، أو مصطفى كامل وغيرهم، وإنما كان قريبا منه في معظم الأوقات.

فضل مذكرات سعد زغول في التنبيه الى تاريخه

أما قصة إسماعيل أباطة باشا مع التاريخ المكتوب فقصه عجيبة في طرافتها تتجلي فيها حكمة الأقدار علي نحو يصعب علي البشر أن يفهموه ، فهو كما وصفناه ذات مرة صاحب البروفة المبكرة لزعامه سعد زغول باشا ، لكن قيمته هذه كادت تنسي لولا مذكرات سعد زغول نفسه التي أفاض فيها في الحديث عن خلافاتهما وحواراتهما في الفترة السابقة علي مجده وعلي ثورة ١٩١٩ .

وباختصار شديد ومعبر فإن إسماعيل أباطة باشا نموذج للسياسي البارز الذي كان من الممكن للتاريخ أن يتجاوز دوره البارز في حقبة من تاريخ الوطن و يقفز علي هذا الدور ، لولا أن خصمه أو منافسه في ذلك الوقت كان هو نفسه الذي أبرز (بطريقة تلقائية غير مخطط لها) قيمة هذا الدور، وقد تحدث عن تفاصيل علاقتهما وخلافهما بخطة سحرية جمعت أقصى ما يمكن توليفه من اختلاف ونقد ، واعتزاز ومعارضة ، و إنصاف و انتقاص ، وكيف لا وقد كان هذا الصنو هو الزعيم سعد زغول باشا نفسه بكل سياسته وبلاغته وتاريخه و شغفه بتسجيل مذكراته . وإذا كان هناك علم من أعلام مصر قد استفاد اسمه من الروايات التي جاء فيها ذكره في مذكرات سعد زغول فإنه هو إسماعيل أباطة باشا.

دوره المعارض للحكومة في الجمعية العمومية

كانت لسعد زغول و إسماعيل أباطة معركة مشهورة في البرلمان (الجمعية العمومية) حيث كان سعد زغول نفسه وزيرا متضامنا يدافع عن رغبة وزارة بطرس غالي في إقرار مشروع قانون بمد امتياز قناة السويس، علي حين نجح إسماعيل أباطة بامتياز في قيادة جبهة معارضة ضد هذا المشروع وإجهاض الموافقة علي هذا المشروع .

وقد ظل لإسماعيل أباطة باشا دور بارز في الحياة العامة، علي حين تمكن سعد زغول باشا بعد خروجه من الوزارة من الوصول بالانتخاب إلي عضوية الجمعية التشريعية (١٩١٣) التي كانت بمثابة آخر برلمان منتخب قبل فرض الحماية الإنجليزية والحرب العالمية الأولى وثورة ١٩١٩ .

نشاطه

وُلد إسماعيل أباطة في ١٨٥٤ أي أنه كان يكبر سعد زغلول بخمس سنوات، ومن بين الأباطية المنتشرين في إقليم الشرقية والمولودين في قُري متعددة من ذلك الإقليم، فإن إسماعيل أباطة من مواليد شرويدة ، و كما ذكرنا فإن فروع العائلة الأباطية تتعدد حتي تشمل قري كثيرة من إقليم الشرقية .
و من الجدير بالذكر أن قرية شرويدة أصبحت الآن من ضواحي الزقازيق المتاخمة للمدينة مباشرة ، والتي كان لا بد لنا إذا قدِمنا من القاهرة أن نعبر بها علي نحو ما كنا نصف حال المُتوجه إلي محطة سعد زغلول في المترو ، أو هكذا كان زملائنا الذين يصحبوننا في السفر بيتسمون عندما ندرك شرويدة ، وهم يروننا نعيش التاريخ .

في الوظائف الحكومية

أتم إسماعيل أباطة باشا تعليمه في مدرسة الحقوق مُبكراً ١٨٧٥ من قبل أن تسمى بهذا الاسم ، وتولي إدارة أملاك عائلته لكنه احتفظ بخيط مُتصل بالوظائف الحكومية و الرسمية ، فترقّي فيها إلي أن أصبح وكيلاً لمديرية (محافظة) الشرقية ، واحتفظ بعضوية المجالس النيابية علي مستوي الإقليم ، فكان عضواً في مجلس مديرية الشرقية ، ثم أصبح نائباً في مجلس شوري القوانين والجمعية العمومية .

حزب الأمة

كان إسماعيل أباطة باشا من مؤسسي حزب الأمة (١٩٠٧).

دوره المبكر في جريدة "الأهالي" القديمة

في المستوي الصحفي شارك إسماعيل أباطة في توظيف الصحافة للحركة الوطنية. وعرف بدوره في جريدة «الأهالي».
كانت «الأهالي» نموذجا لجريدة الكاتب الواحد فقد كان هو محررها الوحيد كما كان صاحبها ومديرها ومن الطريف أن «الأهالي» التي صدرت عن حزب التجمع الوطني منذ عهد الرئيس السادات كانت كثيراً ما تهاجم الأسرة الأباطية (وبصفة

خاصة الأستاذ ثروت أباطة) من دون أن تعرف علاقتهم باسم الأهالي القديمة ، ذلك أن جريدة الأهالي الوسطي التي ارتبطت باسم عبد القادر حمزة باشا في الإسكندرية حجت ذكر القديمة .

كتابه

يحتفظ التاريخ الأدبي لإسماعيل أباطة بكتابه «حديقة الأدب» وهو كتاب مختارات أدبية، كما أن له كتاباً بعنوان «مقدمة أساس التاريخ العصري لمشاهير القطر المصري».

رياسته لوفد مصري مبكر إلي لندن ١٩٠٨

في المستوي السياسي كان إسماعيل أباطة باشا من جيل لايزال يري نفسه قادرا علي أن يحقق بالحوار السياسي لبلاده كثيرا من المغام والمكاسب حتي في علاقاتها مع المحتل البريطاني، وقد سافر إسماعيل أباطة إلي إنجلترا علي رأس وفد مصري، و كان وفده سابقا بعشر سنوات علي الوفد الأكبر و الأشهر الذي بدأت حركته في ١٩١٨ ، وقد ألقى إسماعيل أباطة باشا خطبة في اجتماع عام في فندق الكونتنتينال (يوليو ١٩٠٨) ليوضح للمجتمعين أسباب سفر الوفد إلي إنجلترا، و لخص أهدافه من السفر في رفع صوت التضرر والاستياء للأمة الإنجليزية بعاصمة بلادها.

- أولا: من ممانعة حكومتهم للحكومة المصرية من إجابة مطالب الجمعية العمومية.
- ثانيا: لتبديد الخرافات والأوهام التي ألصقها بهذه المطالب الحقبة العادلة أعداء مصر والمصريين هنا وهناك.
- ثالثا: من السياسة التي تسير عليها الحكومة الإنجليزية في مصر، خصوصا في طريقة التعليم، وتأخير الصناعة، وحفظ الأمن.
- رابعا: لتنبية الأمة الإنجليزية لحث حكومتها علي الوفاء بوعودها وعهودها للمصريين الذين ينتظرون منها احترام العهود.

سفر الوفد

وقد سافر هذا الوفد المصري في صباح ١٤ يوليو سنة ١٩٠٨ إلى بورسعيد باعتباره ممثلاً شعبياً للجمعية العمومية، التي تمثل مصر والمصريين، وكان هذا الوفد مؤلفاً من السيد حسين القسبي، وعبد اللطيف الصوفاني، (وهما ممن سنتناول سيرتهم في كتابنا هذا)، ومحمد الشريعي، وناشد حنا، ومحمود سالم. وبعد عودته نشر إسماعيل أباطة باشا بياناً عن أعمال هذا الوفد علي صفحات الجرائد. جاءت ثورة ١٩١٩ فحجبت زعامة سعد زغول باشا القوية والمؤثرة بسهولة معظم ما كان باقياً من تاريخ زعامة إسماعيل أباطة .

عضويته في لجنة وضع الدستور

اختير إسماعيل أباطة باشا عضواً في لجنة الثلاثين التي وضعت الدستور المعروف بدستور ١٩٢٣ .

وفاته

توفي إسماعيل أباطة يوم الأحد ٢٣ يناير ١٩٢٧

الفصل الثاني عشر : إبراهيم الهلباوي

الخطيب الذي جلد فقراء دنشواي بلسانه الغني

تلمذته للأفغاني ومحمد عبده

علي عادة أهل القرآن الذين يُبسّطون معانيه للشباب بضرب أمثلة من الحياة العامة ، يمكن لنا القول بأن سعد زغلول باشا والهلباوي [باشا] كانا في وقت من الأوقات أبرز محاميين مصريين ، ولد سعد زغلول ١٨٥٩ وولد الهلباوي قبله بعام ١٨٥٨ ، ومارسا المحاماة بحصيلة الثقافة العامة التي حصلها ، والعلم الذي تلقّياه في الأزهر، ونجح مساعهما في هذه المهنة، وكان النجاح يُعبّر عن نفسه بما يُعبّر عنه كلُّ نجاح مهني من إبراز النتائج، والافتتاع بالكفاءة، واستقطاب العملاء ، والحفاظ علي المكانة.

ثم اقترب الطريقان ، فإذا سعد زغلول يسير في طريق غير ممهّد ، لكنه يقوده في النهاية إلي القضاء والوزارة والزعامة ورئاسة الوزارة والمجد ، وإذا الهلباوي يسير في الطريق الذي مهده لنفسه من قبل فيُصادفه نجاح كثير لكنه يصادف سوء الحظ ذات مرة ، و إذا هو يعيش أسيراً لسوء الحظ طيلة حياته.

كيف جاءه سوء الحظ

بالطبع ، فإننا نقول إن سوء الحظ الذي صادف الهلباوي باشا كان يوم صادفه يبدو ، وكأنه حُسن حظ ، لكن ما بدا و كأنه حسن حظ سرعان ما تحوّل إلي لعنة ، وليس إلي سوء حظ فقط، ذلك أنه في قضية من القضايا (هي القضية التي عُرفت فيما بعد بقضية دنشواي وصارت أهم قضية سياسية في تاريخ مصر وضميرها) كان النائب العام الذي سيتولّي الدعوي العمومية غائباً، وكان نظام العمل في القضاء المصري يُتيح أن تنتدب السلطة المُخصصة (وزير الحقائية علي سبيل المثال) أحد المحامين ليقوم بمهمة الادعاء العام في القضية، وقد رأت السلطة يومها أن تعهد بهذه

المهمة إلي أول المحامين ، أي إلي أكبرهم شأنًا ، وأولهم في كشف الأسبقية أو الأهمية أو المهارة أو الكفاءة علي حسب ما نقول .

وكان هذا المحامي هو إبراهيم الهلباوي الذي أخذته نفسه بالأثم فدفعته موهبته كعادة النوابغ إلي استعراض مهاراته ، وكأنه نائب عام ، فأخذ يتهم مواطنيه المظلومين بأقصى التهم ، ويُحرَضُ عليهم ، ويحرص في تحريضه ، شأنه شأن كل نائب عام طموح ، علي أن يحصل لهم علي أقصى العقوبة، ويبدل جهده في هذا السبيل علي نحو مناقض لما يبذله حين يُدافع عن متهم ، فيحرص علي أن يحصل له علي أقصى ما يُمكن من البراءة.

وهكذا قدم الهلباوي خطاباً لا نقول إنه سيء فحسب ، وإنما هو شيء آخر سنتحدث عن وجهة النظر في وصفه بعد قليل .

رأينا في أن مرافعته كانت صورة من الإجرام

و على الرغم من ان القانونيين لا يتقبلون وصف عامة الناس لأي أداء إقناعي أو تكييفي أو دفاعي بالإجرام ويعتبرون الامر لا يخرج عن سلوك مهني بحث من وجهة نظرهم ، على الرغم من هذا فان خطاب الهلباوي في اتهام فلاحي دنشواي البؤساء لم يخرج في الحقيقة عن خطاب إجرامي من كل الوجوه : إجرامي في حق نفسه، وفي حق المهنة ، وفي حق المواطنين ، حتي إنه استحق أن يوصف فيما بعد بجلاّد دنشواي نظراً لدوره المقيت والكريه و المستفز في هذه القضية!

إذا أردت شعوراً صادقاً يتعاطف مع الإنسان ، فعليك أن تتذكر التعبير الفلكلوري الجميل الذي يقول: لبيت الأرض انشقت وبلعتني! هل تذكر التعبير العُمري الورع الجميل الذي كان سيدنا عمر بن الخطاب يُردّده ويقول : لبيت أم عمر لم تلد عمر!

هل ندم الهلباوي أم كابر؟

نُصوّر بعض أدبياتنا أن الهلباوي ندم علي ما فعل وبدأ يُحاول أن يُصلح خطأه في كل فرصة ، ومن ذلك أنه حرص علي أن يكون علي رأس المدافعين عن الورداني في قضية مقتل بطرس غالي ، لكنني لا أستطيع أن أمّر هذه الفكرة ببساطة، ذلك أن الهلباوي ظلّ في كثير من الأحيان يكابر و يُكابر، مُتصوّراً أنه لم يخطئ ذلك الخطأ الفظيع ، وإنما أخطأ التقدير فحسب.

ودليلي علي هذا من التاريخ نفسه ذلك أن الهلباوي حين اندلع الخلاف بين سعد ومخالفيه ، انحاز إلي مُخالفي سعد علي الرغم من أنه كان عضواً في لجنة الوفد المركزية، لكنه أثار أن يكون مع المُنشقين لا مع سعد ، و هكذا أصبح من مؤسسي حزب الأحرار الدستوريين ، مع أنه كان في حاجة إلي أن يثبت توبته بأن يغتسل في غمار شلال النهر الهادر لثورة ١٩١٩ ، بل وأن يكون من أقصى المتطرفين في تأييد حقوق الشعب علي نحو يبتغي فيه أن يتفوق فيه علي ما فعل سعد زغلول نفسه، لكن الهلباوي كان يعتزُّ بعقله أكثر مما كان يعتزُّ بقلبه ، أما سعد زغلول باشا ، فكان يعتزُّ بقلبه أكثر ، وإن أبدي للناس أنه يعتزُّ بعقله في المقام الأول.

هل نعود إلي العبارة التي بدأنا بها ، فنقول إن الهلباوي كان كمن كُتب عليه الشقاء ، وإن سعداً كان كمن كُتبت عليه السعادة؟ في واقع الأمر فإنني لا أستطيع هذا لكنني في الوقت نفسه لا أستطيع أن أمنع أحداً أن يقول بهذا ، كما أنني لا أستطيع أن أقنع أحداً آخر بغير هذا. عاش الباشا الهلباوي ١٣ عاماً بعد وفاة سعد زغلول ، فلم يستطع أن يُعيد تقييم موقفه علي نحو يغفر له عند العامة ، ولا عند الخاصة ، وإنما أصبحت صورته في أدق وصف لها صورة المخطئ الذي عرف الخطأ، فاعتذر عنه اعتذاراً غير كاف، وتاب عنه توبة غير كاملة.

عضويته في لجنة وضع دستور ١٩٢٣

اختير إبراهيم الهلباوي عضواً في لجنة الثلاثين التي وضعت دستور ١٩٢٣ ، وتكاد الأدبيات التاريخية التي تناولت هذه الفترة تجمع علي أن العناصر الفاعلة في لجنة وضع دستور ١٩٢٣ كانت أربعة : إبراهيم الهلباوي، وعبد العزيز فهمي، وتوفيق دوس، وعبد الحميد بدوي.

نشأته

ولد الباشا الهلباوي في قرية العطف وهي من قري كفر الزيات التي تتبع إقليم الغربية، ويُقال إن له أصولاً مغربية، ودرس في الأزهر كسعد زغلول ، وإن لم يستكمل الدراسة أو يحصل علي الشهادة ، وحين تعدي العشرين من عمره وقع عليه الاختيار مثل سعد زغلول ليكون مُحرراً في الوقائع المصرية ، وهي الصحيفة

المصرية الوحيدة يومها، فلما حدثت الثورة العرابية كان من مؤيديها، وقد تعرض لفقدان الحرية ، لكنه نال الإفراج لعدم كفاية الأدلة.

عمله بالمحاماة

بدأ الباشا الهلباوي عمله في المحاماة في ١٨٩٣ وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، ومكّنته مهاراته وكفاءته أن يُصبح ذا خبرة كافية لأن يكون بمثابة ما نعرفه الآن علي أنه المستشار القانوني للشركات والهيئات ، وقد وصل به الأمر أن أصبح مستشاراً لديوان الأوقاف وللخاصة الخديوية، مع ما هو معروف (بلغه عصرنا) عن ملاءة المحفظة المالية لهاتين الجهتين.

وقع الباشا الهلباوي في سوء الحظ في ١٩٠٦ في محاكمة دنشواي ، ومن المصادفات أن محاكمة دنشواي كانت سبباً في حرص البريطانيين علي استرضاء الرأي العام المصري، وكان من الخطوات المهمة في هذا السبيل أن يُعين وزير مصري من أبناء الشعب، وكان سعد زغلول (بك) في ذلك الوقت هو أصلح المصريين لهذه الوظيفة السياسية ، فقد كان يشغل منصب المستشار في محكمة الاستئناف ، وهكذا اختير سعد زغلول وزيراً للمعارف في ١٩٠٦ وكان لا يزال برتبة البكوية، فكان أول وزير يُعيّن بالبكوية قبل أن ينال الباشوية.

التوافق على اختياره ليكون أول نقيب للمحامين

لكن الباشا الهلباوي مع هذا ظلّ محل تقدير بين أهل مهنة المحاماة، فلما اتجهت النية إلي تأسيس نقابة للمحامين ، وكان عبد العزيز فهمي بك (باشا فيما بعد) أوفر المرشحين حظاً ليكون أول نقيب للمحامين أسر بعض المحامين إلي عبد العزيز فهمي أن الهلباوي باشا يُريد أن يستأثر بهذا الشرف ، فوافقهم وقدم الهلباوي علي نفسه ليكون أول نقيب للمحامين في مصر ثم خلفه في هذا الشرف .

المقارنة بين سلوك محمد سعيد باشا و سلوكه

وإذا جاز لنا أن نشير علي القارئ بما يجعله يستبين الأمر، فإننا نقارن بين موقف الهلباوي من سعد زغلول باشا و الحركة الوطنية وموقف رجل آخر من رجال

الحركة الوطنية ، لزم الجماعة الوطنية ، وترك الكبر والغرور ، نعني بهذا محمد سعيد باشا (المولود ١٨٦٣) والذي كان سببا في خروج سعد زغلول من الوزارة في ١٩١٢ (وعاد لتولي رئاسة إحصاء الوزارات الإدارية في ١٩١٩) لكنه مع ما بدا من نجاح ثورة ١٩١٩ و مشروعية تمثيل الوفد لرغبات الأمة ، انضم تماماً إلي سعد زغلول بل إنه " سار في ركابه" علي حد تعبير المؤرخ عبد الرحمن الرافعي ، بل وقبل أن يكون وزيراً في وزارة سعد زغلول (١٩٢٤) ، علي الرغم من أن سعد نفسه كان وزيراً (١٩١٠ - ١٩١٢) في وزارته الأولى ، مع أنه كان قد وصل إلي الوزارة قبله.

بقي مفارقاً للأغلبية

أما الباشا الهلباوي ، فقد أمضي بقية حياته وطنياً مفارقاً للأغلبية ، مع أنه كان في وسعه أن يتنازل عن غلوائه.

وصف الأستاذ عبد العزيز البشري لإبراهيم الهلباوي في المرأة

كان الهلباوي محظوظا بالصورة البديعة التي رسمها له الأستاذ عبد العزيز البشري في فصوله التي جمعت في كتابه في المرأة ، وفيها يصفه فيقول:
" ما أصدق أولئك النفر من العلماء حين زعموا أن هناك تشابهاً بين النفس والجسم، وتشاكلاً بين الروح والهيكل الذي يحتويه، وإلا كان الهلباوي هذا من أحلى الناس وجهاً وأبهاهم طلعة؛ فإنه ولا مريّة من أطف خلق الله نفساً وأخفهم روحاً.

الخلق والخلق

"شيخ يتزاحف على السبعين إن لم يكن قد اقتحمها فعلاً. لم توجه الطبيعة أية عناية في تكوينه إلى شكله ودله، فإذا أنت جلست إليه مع هذا خلبك بلطفه، وشعرت بأنه تسرب في كل نواحي قلبك حتى أصبح قطعة من نفسك. وإنه ليذكرك بخفة روحه التي تكاد تطير، أثناء حديثه، بأطراف جسمه ، قول أبي تمام:
ماذا تقولين في شيخ فتى أبداً
وقد يكون شباباً غير فتيان

وأنا إذا تحدثت عن الهلباوي أشعر ويشعر الناس معي، برغم أنفي وأنف غيري،
أننا في رجل غير عادي، أو بعبارة أخرى: في رجل عبقرى.

اختلاف الناس في شأنه كاختلافهم في شأن صدقي باشا

"لعله لم يفترق الناس في هوى امرئ ، إذا استثنينا إسماعيل باشا صدقي ، افتراقهم
في الهلباوي، فقد عاش مدى عمره يحبه الناس أشد الحب، ويبغضه ناس أشد البغض،
إلا أن هؤلاء وهؤلاء لا يسعهم جميعاً إلا التسليم بأنه رجل عبقرى، بل لعله لم يجتمع
له في القلوب كل هذا الحب وكل هذا البغض، إلا لأنه رجل عبقرى!

ثورة في هيكل رجل!

"طويل القامة، عظيم الهامة، بائن الطول، مفتول العضل، شديد المنة، قوي البنية.
رأيته يخطب الناس عصر يوم قدم في صباحه من أعلى الصعيد. والهلباوي إذا خطب
خطب بكله: بلسانه، وبعقله، وبنخاعه، وبعصبه، وبرأسه، وببيديه، وبرجليه أيضاً!
وله صباح يُفدُّ أصفَقَ الحناجر. ثم تدلَّى عن المنبر بعد أربع ساعات كاملات في كل
هذا البلاء وهو أشد وأفتى من أكثر من سمعوه إن لم يكن أفتى ممن سمعوه جميعاً.
وما شاء الله كان! ... شديد العقل، حاضر البديهة، قوي الذاكرة، ملتهب الذكاء،
على أنني لا أدري أتفي كل هذه بحاجات لسانه أم لا؟! ...

قدرته على التأثير الخطابي

"محام أي محام، وخطيب أي خطيب! لقد يقف في الجمهرة والناس أكثرهم على
غير رأيه فيما يجول فيه، فما يزال يدور على مواطن إحساسهم يجسها من ههنا ومن
ههنا في رشاقة وخفة قول، ولطف شاهد، وبراعة نكتة، حتى إذا أنس من الأذان
تطامناً من جماح، واسترخاء بعد عصيان، هجم منها بكله على النفوس، فظل يهزها
هزاً، ويرجها رجاً. فما الفحل إذا هدر، ولا الليث إذا زأر، ولا البحر إذا زخر، بأشد
صولة على الأسماع من الهلباوي يتدفق في الكلام، فما يروعك من هذه الجماهير
الواجمة إلا أن تراها، برغمها، قد أرسلت حناجرها بالهتاف، وبعثت أكفها بالتصفيق!

" والهلباوي خطيباً يشتري هوى سامعيه بأي ثمن: فهو يجد ويهزل، ويثب ويحجل، ويضحك ويبكي، ويعلو ويسف، ويثقل ويخف، ويكتف ويشف، وينظم الدرر، ثم يرمي بالشرر. وبينما تراه في وداعة العصفور، إذا به في شراسة النمر. كذلك يتشكل هذا الشيخ في خطبه ويتلون لكل مواقع الكلام!

وإذا كان الهلباوي خطيباً عظيماً فهو ممثل أعظم!

"نجم الهلباوي من أسرة في الغربية كريمة العرق، إلا أنها رقيقة الحال، فلما يفع قذفت به إلى الأزهر، فعكف على مدارس علومه، وقد عرف بين لداته، من صدر أيام الطلب، بالفطنة وحدة الذهن والإكباب على تحصيل الدرس. وعلوم الأزهر، كما تعرف، تقوم على الجدل والمكاثرة بألوان التدليل"

" وكان الهلباوي فوق «أزهريته» تيك، عنيداً في رأيه، ملحاً حتى على أشياخه في حوار، جريئاً على مخاصمتهم في كثير مما تسقط عليه أفهامهم في مذاهب الكلام.

أثر الأفغاني فيه

" وهبط المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني مصر، فاتصل به الهلباوي كما اتصل به كثير من أهل المواهب والذكاء، وكان يعلمهم مسائل من الحكمة، ويلقنهم فصولاً من فلسفة اليونان كما نقلها العرب عنهم"

" وقد مد السيد الأفغاني أذهان طلبته إلى كثير مما يحيط بهم، ففجر عقولهم، وجرأ قلوبهم، ودرّب ألسنتهم على المنطق والمغالبة بفنون الجدل، وعودهم الجهر بالرأي دون الخوف من أحد."

" وفي ثنايا هذا كله كان يبعث في نفوسهم دعوة سياسية جريئة"

عرف البيئات المتصلة بالغرب

" وخرج الهلباوي بعد هذا إلى ميدان العمل، فاتصل اتصالاً أوفى بالبيئات التي تفهمت حياة الغرب، وتروت علومه الحديثة، وأخذت أحلامها بمنطقه الطريف. وهكذا أصبح الهلباوي خليطاً من كل ما تقلب فيه من أطوار الحياة!

تكوينه الثوري

"وما اجتمعت هذه الأسباب كلها في نفس إلا اضطرمت وثار، فلا تعود تستريح إلى قرار. فلا عجب إذا كان الهلباوي ثورة دائمة في هيكل رجل، والبركان دائم الفوران، فهو ينفجر من حين إلى حين وإن احتقن إلى حين. ولقد يكون ما يظنه كثير من الناس ترددًا في الهلباوي أثرًا من آثار هذه الثورة النفسية، فإن الثورة لا تعرف نظامًا ولا تستوي في شوبها لطريق.

لعلها سقطة الرجل العظيم

"ولعل موقفه يوم دنشواي كان مظهرًا من مظاهر هذه الثورة، على أنها هذه المرة كانت أدنى إلى تحدي الجمهور منها إلى ما اعتاد من تحدي السلاطء من أهل الحكم، وفي كل حال فقد كانت منه كبيرة، ولعلها كانت سقطة الرجل العظيم. على أن أحدًا لم يجرؤ على أن يحيل تردد الهلباوي، الذي قالوا، على طلب منفعة شخصية من منصب أو جاه أو مال.

اتساع ميدان ممارسته للمهنة

"وقد صحب القضاء المصري الحديث، ودارجه من أول نشأته إلى اليوم، فلم تكف تقع قضية ذات شأن في البلاد إلا دعي لها الهلباوي، فاقنن وأبدع، وله في هذا الباب جولات معدودة له على وجه الزمان" "فلا عجب إذا عد صحيفة من أحفل صحف القضاء المصري وأظهرها حواشي ومتونًا. وقضى هذا الزمن الطويل محامياً واضحاً أميناً مجداً في عمله، حريصاً على أداء واجبه، لم تحص عليه كرة واحدة مما يخمش وجه المحاماة.

وفاؤه للصدافة

"ثم هو في علاقاته الشخصية شديد التوافي لأصدقائه، حريص على مودتهم، لا يقصر في أداء أي واجب لأي كان منهم. ولا أحسب الهلباوي قد عادى أحدًا أو عاداه من الناس أحد إلا في شأن عام.

قدرته على الانتظام في الجماعة

"وإني كلما جاش في نفسي الحقد على الهلباوي بك، هرولت إلى مجلس النواب فشفيت صدري برؤيته، بعد كل ذلك! وقد امتثل حقاً لحكم النظام، فهو يرفع إصبعه بطلب الإذن كلما أراد القعود أو القيام، وكلما أراد السكوت أو الكلام، وكلما طلع أو نزل، وكلما عطس أو سعل، وكلما تحرف أو تخطى، وكلما تتأب أو تمطى، وكلما ذلك أكارعه، أو فتل أصابعه. ولا بد من الخضوع والطاعة لكل من ينتظم في سلك الجماعة، وإلا ساء النظام، واضطرب حبل الأحكام!

حياته البرلمانية هدأت من طباعه

وكذلك أخدمت الحياة النيابية هذه الثورة الشيخة الفنية. وإني إذا لم أصفه في موقفه الجديد بأنه أصبح «كالوحش يستدنيه للقصص المحل»، فإني أقول له: «ولا بد دون الشهد من إبر النحل!»

فقرات من وصف الأستاذ عباس العقاد للهلباوي

".... هو الهلباوي الذي عرفه الناس طوال حياته، ويمكنك أن تلخصه في عبارة واحدة، وهي أنه كان ذلاقة لسان، لا تطيق نفسها، ولا تريح صاحبها : ومن هذه الذلاقة المتعجلة، كان يؤخذ على الهلباوي كل ما هو مأخوذ عليه".
"... سمعنا عنه قبل أن نراه، أو نسمع عنه ممن رآه. كان أشهر المحامين بين الفلاحين بلا استثناء، وسمعنا بشهرته كاتباً كما سمعنا بشهرته محامياً، فكان عنوان مقالاته إلى أي طريق نحن مسوقون؟ يتردد على كل لسان، وكنا نسمع به وإن لم نقرأ تلك المقالات".

أدركته آفة التعجل

".... ثم أدركته آفة التعجل وقلة الاستقرار، فتحول في الوطنية إلى خطة الاعتدال وفسر الاعتدال بمصانعة الاحتلال. ثم كانت الطامة الكبرى، ونعني بها قضية دنشواي التي وقف فيها موقفاً ظل نادماً عليه طول حياته. وعن قضية دنشواي قلت في كتابي سعد زغلول: لقد كنا أربعة نقرأ وصف التنفيذ في أسوان، فأغمي على

واحد منا ولم نستطع إتمام القراءة إلا بصوت متهدج تخنقه العبرات. ويستطيع القارئ إذاً أن يتخيل مبلغ السخط الذي أثارته في نفوسنا رؤية الهلباوي أمامنا وجهًا لوجه في دار الجريدة، يوم ألقى الأستاذ لطفي السيد بك خطابه . لقد كان اغتباطي شديدًا بما أصابه من الأذى في ذلك اليوم، ولكني أقول إنصافًا له إننا رأينا في الرجل شجاعة لم نرها في غيره من المقصودين بالهتاف العدائي ذلك المساء؛ فقد أوى بعضهم إلى حجرات الدار حتى اطمأن إلى انصراف الجمهور الغاضب، وأبى الهلباوي إلا أن يفتحم الجمع خارجًا من الدار في إبان الهياج، ولم يحفل بما تعرض له في طريقه من اللكم والإيذاء".

العقاد يعترف بعنف مقالاته في الهجوم عليه

"و غاب الهلباوي زمنًا عن ميدان السياسة، ثم ظهر بعد الثورة الوطنية معارضًا لسعد زغلول، وكانت المساجلات بين الأحزاب يومئذ على أعنفها، ولكني أشهد القارئ أنني ما وجدت القلم ينبعث في يدي انبعاثًا إلى القول القارص العنيف كما كان ينبعث في الرد على خطب الهلباوي وأحاديثه، فردودي عليه فيما أعتقد كانت أعنف ما كتبت على الإطلاق".

العقاد يذكر أن موقفه منه كان من أسباب انشقاقه على الوفد

" ثم مضت الأيام، و شاء القدر أن يكون للهلباوي شأن في موقف من أهم المواقف في حياتي السياسية؛ لأنه الموقف الذي اعتزمت فيه جدًّا أن أترك الهيئة الوفدية مستقلًا عن جميع الأحزاب. كان الوفد والأحرار الدستوريون مؤتلفين على عهد الوزارة الصدقية التي عدلت الدستور. وجاء اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر، فعقد الأحرار الدستوريون اجتماعًا في دار حزبهم، وذهبنا إليه تأييدًا لمظهر الائتلاف. وإذا بالهلباوي هو خطيب الاجتماع. وإذا بي جالس أمامه على قيد خطوة واحدة، وإذا به يحتال في كلامه ليهملني عند مناسبة ذكري، ويتجاوز الإهمال إلى التعريض.

" وعلقت على الخطبة في اليوم التالي، وراها فرصة سانحة لإرغامي باسم الائتلاف. وجاءتني دعوة إلى بيت الأمة، حيث تجتمع طائفة من أعضاء الوفد على رأسهم مصطفى النحاس باشا. ما الخبر؟ و الخبر أن مصير الائتلاف معلق على

بيان مطلوب منا، ونحب أن نتلوه عليك. قلت: وما شأنى في هذا البيان؟ قالوا: بل الشأن شأنك؛ لأن فحوى البيان أن الوفد لا يقر ما كتبت عن الهلباوي بك. قلت: إنكم أحرار فيما تكتبون، ولكنني سأرد لا محالة على هذا البيان، وأقول لكم سلفاً إنني أنا المسئول عما أكتب، ولم يعلم الناس قط أنني أكتب بإشارة من أحد. ثم ذكرت لهم سابقة سعد مع اللورد جورج لويد حين حملت على اللورد من أجل زيارته للأقاليم، وثار اللورد ثورته التي أوشكت أن تعصف بالبرلمان، وأرسل إلى سعد من يقول له إن اللورد يعتقد أنه هو الموعز بتلك الحملة، فقال سعد كلمته المأثورة: إنها تهمة لا أدفعها أو شرف لا أدعيه. ولم يفاتحني في الأمر حتى انقضت الأزمة، لكي لا أفهم أنه يقترح علي الكف عن الكتابة في هذا الموضوع!"

"ولكنهم لم يقتنعوا وقالوا إن صدور البيان من الوفد أمر لا محيص عنه، فإن شئت فاسمعه لتقترح تغييره أو تعديله فيما لا يرضيك. قلت: لن أسمع"

"في ذلك المساء زارني مكرم عبيد باشا، والمرحوم صبري أبو علم باشا، وسألاني: ماذا صنعت؟ قلت: كتبت ردّاً على البيان سينشر في جريدة مصر. فحاولوا وقف المقال. فقلت لهما: إذا كنت لم أستطع أن أقنعكم بوقف بيانكم، فلن تستطيعوا إقناعي بوقف المقال، وبعد مناقشة طويلة قال مكرم باشا: إننا كنا نود لو قبلت رجاءنا وعدلت عن نشر مقالك، أما وأنت مصر على نشره فاقبل منا رجاء آخر. قلت: ما هو؟ قال: أن يخلو المقال من الملام الشديد. قلت: إنني إذا ذكرت الحقائق كما حصلت، فلا حاجة بي إلى ملام شديد".

وصيته بتركته

ترك الهلباوي إرثاً كبيراً لورثته الشرعيين، وأوصى لكل واحد من الخدم بما يكفيه من رغد العيش، وكذلك أوصى لنقابة المحامين بأربعين فداناً أما الجمعية الخيرية الإسلامية فقد أوصى لها ب ٦٢٠ فداناً.

مذكراته

كتب الهلباوي مذكرات جيدة الصياغة، حسنة المعاني وقد نشرها مركز تاريخ مصر الحديث والمعاصر، في الهيئة المصرية العامة للكتاب، وتناولناها في موضع آخر.

الفصل الثالث عشر : عبد اللطيف الصوفاني

الزعيم الوطني الذي صنفه الرافعي ثاني شهيد للانتخابات

عبد اللطيف الصوفاني (١٨٦٠ - ١٩٢٥) واحد من أقطاب الحركة الوطنية في مصر، ومن الزعماء السياسيين المتجردين لخدمة الوطن ، ومن مؤسسي الحزب الوطني مع الزعيم مصطفى كامل وقد ظل ركنا من أركان الحزب الوطني، ولم يتغير مبدأه حتي توفي.

نشأته ونيابته الممتدة عن الأمة

ولد عبد اللطيف الصوفاني في بلدة أبو الخاوي مركز كوم حمادة محافظة البحيرة (١٨٦٠) في أسرة كريمة تواصلت خدمات أجيالها للمجتمع المحيط بهم و للحياة السياسية في ظروفها الجافة في ذلك العهد .
كان عبد اللطيف الصوفاني نائبا دائما عن دائرته، وقد شارك في جميع الهيئات النيابية التي وجدت في أثناء حياته السياسية، (منذ حكم الخديو عباس حلمي الثاني من ١٨٩٢ وحتى إعلان الحماية البريطانية علي مصر عام ١٩١٤) فكان عضوا في مجلس شوري القوانين ، وفي الجمعية العمومية، والجمعية التشريعية.

معارضته مد امتياز القناة

كان عبد اللطيف الصوفاني واحدا من أبرز الذين عارضوا مشروع امتداد امتياز قناة السويس ووقف في مواجهة الحكومة وفتته المشهورة مع زميله إسماعيل أباطة.

الانجليز يتخوفون منه أثناء الحرب الأولى

راقبت السلطة العسكرية البريطانية تحركات عبد اللطيف الصوفاني في أيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨).

في ثورة ١٩١٩

يذكر لعبد اللطيف الصوفاني أنه هو الذي قاد الحملة الصحفية لمعارضة مشروع ملنر من خلال جريدتي «المحرسة» و«الأمة»، وأنه هو الذي انبري فيما بعد الاستقلال في جلسات البرلمان لإسقاط تصريح ٢٨ فبراير. ويذكر له أنه أنفق علي الحركة الوطنية من ماله الخاص، وباع ألف فدان لهذا الغرض كان يملكها بقرية «خورشيد بجوار الإسكندرية». حدد الإنجليز إقامته أكثر من مرة في منزله بقرية خورشيد بالقرب من الإسكندرية.

بعد الاستقلال

انتخب عبد اللطيف الصوفاني نائبا في أول مجلس نيابي بعد دستور ١٩٢٣، وهو مجلس النواب (١٩٢٤)، مواصلا بهذا ما نجح في تحقيقه من نيابته المتصلة عن إقليمه في المجالس النيابية المتعاقبة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وبهذا كان وضعه شبيها بوضع نظيره علي شعراوي، وإبراهيم سعيد.

أخلاقه

يروى أن عبد اللطيف الصوفاني كان حريصا علي التمسك بأهداب الدين، وكان دائب السعي لتوحيد كلمة المسلمين.

وفاته

توفي عبد اللطيف الصوفاني في ٢٤ مايو ١٩٢٥، وقد صنفه أستاذنا الراجعي علي أنه ثاني شهيد للانتخابات إذ توفي بسبب فشله فيها علي نحو ما سبق مع زميله عبد اللطيف المكباتي في ١٩٢٤.

الفصل الرابع عشر : فتح الله بركات باشا

من عمدة للقرية إلي وزير للداخلية

فتح الله بركات باشا ١٨٦٦-١٩٣٣ هو واحد من الساسة المخضرمين القلائل الذين عاشوا من عمرهم في القرن العشرين قدر ما عاشوا في القرن التاسع عشر ، وهو حسب الروايات المتواترة ابن أخت الزعيم سعد زغلول باشا ١٨٥٩-١٩٢٧ ، كما أن سعد زغلول باشا تبعاً لهذه الروايات هو خال فتح الله بركات باشا ، لكن هناك رواية وحيدة غير مشهورة تقول بعكس هذا ، وهي أنه هو خال سعد زغلول باشا، وفي الحاليين أو الروايتين ، فإنه ليس هناك شك في أن والدة سعد زغلول باشا نفسها من عائلة بركات ، ومن ثم فإن فتح الله بركات ينتمي إلى عائلة أخوال سعد . وفي كل الأحوال فإن ابن الأخت كان قريباً جداً في السن من خاله سواء كان أيهما (هذا أو ذاك) هو الخال .

ومع أن فتح الله بركات باشا لم يصل إلي مكانة سعد زغلول باشا ، فإنه بكل تأكيد كان ذا مكانة لم يصل إليها أحد من أنداده من زعماء الريف المصري ، وربما يكفيننا لتصور مكانته أن نذكر أن هذا الرجل وصل (١٩٠٨) إلي عضوية مجلس شوري القوانين ، كما وصل في ١٩١٣ إلي عضوية الجمعية التشريعية التي هي آخر وأقوي البرلمانات المصرية فيما نسميه بالحقبة قبل الليبرالية (١٨٦٢ - ١٩١٨) وأصبح بفضل ما وصل إليه من زعامة وعضوية للبرلمان جاهزاً للزعامة الجديدة في عصر الليبرالية .

ومن الحق أن نقول إنه أبلّي بلاء حسناً في هذا الصدد وإنه حقق أقصى ما يمكن لسياسي إقليمي مثله أن يُحققه بعدما أصبح بعضويته في برلمان ١٩١٣ صنوا لسعد زغلول باشا وعبد العزيز فهمي باشا وعلي الشمسي باشا وغيرهم ممن أصبحوا عن جدارة زعماء مصر وقادتها بعد ثورة ١٩١٩ .

وربما يجدر بنا هنا أن نشير الي ان أول الشخصيات التي توافقت مع زعامة سعد زغلول (علي غير توقع) كان هو محمد فتح الله بركات ، فقد كان علي خلاف مع سعد زغلول باشا قبل الثورة ، و كان قد حقق ذاته و وصل الي عضوية الجمعية

التشريعية في ١٩١٣ ، لكنه سرعان ما استطاع أن يظهر نشاطه الوطني جندياً مخلصاً من جنود سعد في الثورة من بدايتها لنهايتها مع انه كان في حد ذاته تعبيراً متجسداً عن توجه وطني روضه سعد زغلول ولم يمكنه من البزوغ التام ولا السيطرة في عصر العلم، وكان توجه فتح الله بركات الذي يمثل زعماء الأقاليم كفيلاً بأن يسهم بحسن نية في تقويت الثورة بمجرد نجاحها، لولا ما أنعم الله به علي مصر من قوة شخصية سعد وسطوته.

قدراته التنظيمية

لكي نفهم قيمة الاتجاه الوطني الذي مثله فتح الله بركات فيكفي أن نشير إلي ما سجله المؤرخون من نجاحه الفذ في استيلاء الوفد علي برلمان ١٩٢٥ الذي شكلته الحكومة الزبورية التي تلت خروج سعد زغلول من الحكم في نوفمبر ١٩٢٤ عقب مقتل السردار لي ستاك، فبعد أن ساعدت الحكومة من خلال الانتخاب علي تشكيل برلمان بدا موالياً تماماً للحكومة القائمة (وقد تشكل علي طريقة الحكومات الدكتاتورية في التفصيل المدروس) إذا بهذا البرلمان نفسه ينتخب سعد زغلول نفسه زعيماً للبرلمان أو رئيساً للبرلمان في مواجهة عبد الخالق ثروت الذي كانت الحكومة قد جهزته لرئاسة البرلمان.

وهكذا اضطر الملك فؤاد نفسه إلي رد فعل عنيف كان في جوهره انتصاراً لزعامه سعد والوفد، ذلك أن الملك قرر الاستجابة لطلب الحكومة بحل البرلمان المنتخب بعد ٩ ساعات من انعقاده!

انتصاره على سطوة ثلاث دول : القائمة و العميقة و المحتلة

كان صاحب القسط الأكبر في هذا النجاح الوفدي في ١٩٢٥ هو محمد فتح الله بركات الذي نجح بالأساليب السياسية التقليدية في أن يحول دفعة النواب من بوصلة الحكومة إلي البوصلة الوطنية الحقيقية بعيداً عن سطوة "الدولة" و "الدولة العميقة" و "الدولة المحتلة" وحسابات كل دولة من هاتيك الدول الثلاث وتطلعاتها واستراتيجياتها.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النجاح الساحق نفسه كان هو جوهر ما كان الوفديون الأذكياء يخشون من طغيانه علي الروح الديموقراطية لو أن فتح الله بركات خلف سعد زغلول في رئاسة الوفد في ١٩٢٧ .

نموذج لأعيان ما قبل ثورة ١٩١٩

يمكن القول بأن فتح الله بركات باشا هو أبرز النماذج المبكرة للزعماء الوطنيين المحليين الذين ترتفع بقيمتهم السياسية إمكاناتهم الفطرية والمطلقة، وقد حاز فتح الله بركات رتبة الباشوية من قبل أن يقود خاله سعد زغلول ثورة ١٩١٩، ومعني هذا أن بركات كان موهوباً ومقتدراً، وبالتالي فإن هذا يدلنا علي أن سعد باشا نفسه كان موهوباً ومقتدراً من دون حاجة إلي مساندة حميه مصطفى فهمي أو الإنجليز علي نحو ما يحرص أعداؤه أن يغطوا حوله، سواء في صعوده إلي الباشوية وإلي الوزارة، فهذا هو فتح الله بركات الذي انشغل بأعماله وبمنصب العمودية عن أن يكمل تعليمه الثانوي، وصل هو الآخر قبل ثورة ١٩١٩ بفترة إلي عضوية الجمعية التشريعية، و وصل إلي أن نال رتبة الباشوية.

ومن الطريف أن الأسماء اللامعة في الحياة السياسية في تلك الحقبة من عائلة بركات لا تقل في العدد عن إسهام عائلة زغلول، ، ونحن نجد من أعلام مصر في عصر الليبرالية فتح الله بركات باشا وشقيقه عاطف بركات باشا وابنه محمد بهي الدين باشا علي نحو ما نجد أحمد فتحي زغلول باشا مع أخيه سعد باشا .

كان جده الشيخ عبده بركات من المعروفين بالثروة والنفوذ في عهد محمد علي باشا ، أما والده عبد الله بركات ، فكان من كبار الموظفين ومن كبار الملاك، وأما ابنه فصار وزيراً و رئيساً لمجلس النواب ، وإذا جاز لنا أن نكتب اسم ابنه بطريقة الكتابة الحديثة في كتابة الأسماء ، فإنه يصبح محمد بهي الدين /محمد فتح الله/ عبدالله / عبده بركات .

تعيينه عمدة لقريته ونجاحه الباهر

لما بلغ محمد فتح الله بركات السابعة من عمره بدأ يتلقي تعليمه في البيت علي يد مدرس خصوصي ، ثم التحق بمدرسة رشيد الأميرية فأتم التعليم الابتدائي فيها ثم انتقل إلي مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية، فالمدرسة التجهيزية

بدرب الجماميز بالقاهرة، فدرس فيها حتي سنتها الثالثة، ثم ترك الدراسة عن قصد ليتولي إدارة أعمال والده في مزارعه الكبيرة.

بعد فترة قصيرة من تفرغه لأعمال والده عين عمدة لبلده، وكان لايزال في الحادية والعشرين، لكنه سرعان ما أثبت نجاحا ساحقا تمثل في انتهاء عهد مؤرق من المشكلات المحلية المزمدة ، ثم أصبح عضوا في لجنة الشياخات. وفي سنة ١٨٩٩ انتخب عضوا في لجنة تعديل الضرائب عن مركز فوة ، ثم انتخب عضوا في مجلس مديرية الغربية (١٩٠٢)، وبقي مع هذا عمدة لبلده ، و إلي أن انتخب في ١٩٠٨ عضوا في مجلس شوري القوانين فلما ألغي هذا المجلس وأنشئت الجمعية التشريعية انتخب عضوا في الجمعية التشريعية عن مركزي فوة ودسوق (١٩١٣).

ضجر سعد باشا منه في مرحلة مبكرة

من الجدير بالذكر هنا أن سعد زغلول علي مدي الأجزاء الأولى من مذكراته كان يبدو ضجراً متضجراً من بعض تصرفات فتح الله بركات وعائلته معه في بعض مواقف الحياة اليومية ، وهو ما يدلنا علي أن الرجلين عاشا حياة مفعمة بالعمل والاجتهاد ، ومن ثم الخلاف العائلي الطبيعي التقليدي و القابل للذوبان .

دوره في ثورة ١٩١٩ ونفيه مع سعد باشا

أصبح محمد فتح الله بركات من الساسة البارزين الذين يُعتمد عليهم في لجنة الوفد المركزية، ومنذ عاد سعد باشا من نفيه الأول أصبح مستشارا له ومشاركاً معه في كل أنشطة الحركة الوطنية وكان من الطبيعي أن ينفي مع سعد باشا في النفي الثاني ومع النحاس باشا ومكرم عبيد وسينوت حنا وعاطف بركات باشا و قد كان النفي الثاني لسعد باشا إلي جزر سيشل في ديسمبر ١٩٢١، وعاد فتح الله بركات من سيشل في أوائل ١٩٢٣ .

وصوله للوزارة

كان من الطبيعي أن يصل فتح الله بركات إلي منصب الوزارة في وزارة الشعب التي شكلها سعد زغلول في يناير ١٩٢٤ فقد كان فاز في الانتخابات البرلمانية وهكذا

نال الوزارة في اليوم الذي نالها فيه مع أربعة من زعماء الوفد هم النحاس باشا ، والغرابلي باشا ، وواصف بطرس غالي باشا ، ومرقص حنا باشا ، وذلك قبل أن ينالها أحمد ماهر وعلي الشمسي وعثمان محرم والنقراشي ومكرم عبيد من زعماء الوفد. وقد بدأ فتح الله بركات باشا بتولي وزارة الزراعة لكنه قبل نهاية عهد هذه الوزارة تولي وزارة الداخلية أيضا .

دوره السياسي والحزبي في برلمانات ١٩٢٤ و ١٩٢٥

منذ عهد وزارة الشعب في ١٩٢٤ ، برزت الميزة الأهم من مميزات فتح الله بركات باشا ، وهي القدرة علي التنسيق الحزبي الجبار التي جعلته يتولي ما نُسَمِيه الآن بمهمة أو وظيفة "أمين التنظيم" في الحزب، أما نُسَمِيه أيضا وزير شؤون البرلمان في الوزارة، وقد أدي فتح الله بركات باشا هذين الدورين علي نحو متميز ونزيه. وإذا أردنا أن نفهم بطريقة عملية وعلمية قيمة أداء فتح الله بركات في هذا الموقع ، فإننا نستطيع ببساطة ومن دون مبالغة أن ننتبه إن خلفه فيه وهو مكرم عبيد (وهو من هو) لم ينجح في أدائه نصف نجاح فتح الله بركات، أي أن مكرم عبيد حقق في أقصى تقدير خمسين في المائة من نجاح فتح الله بركات في تكوين عصبية الوفد القوية المتماسكة، ورسم آلية فوز الوفد في معاركه البرلمانية، وهو ما ظهر واضحا في برلمانات ١٩٢٤ و ١٩٢٥ و ١٩٢٦ .

روايات حسن الشريف في كتابه "الرجال أسرار"

كان فتح الله بركات باشا ناجحا قويا فاعلا مؤثرا قادرا علي أن يجني للوفد أفضل النتائج في المجموعات البرلمانية والجماعات الحزبية. و إذا أردت أن تقرأ وصفا لهذا النجاح الذي حققه فتح الله بركات من وجهة نظر واحد من أنصار المعارضين له الذين آذاهم هذا التنسيق الجبار لفتح الله بركات باشا ، فإننا ندلك علي الروايات التي قدمها الأستاذ المؤرخ حسن الشريف الذي هو زوج ابنة محمد توفيق رفعت باشا في كتابه غير المشهور "الرجال أسرار".

دوره في إتمام الائتلاف بين الأحزاب ١٩٢٦

كان فتح الله بركات باشا صاحب يد طولي في إتمام الائتلاف بين الأحزاب في سنة ١٩٢٦، وبعد الائتلاف جرت الانتخابات في تلك السنة ، فكان هو أبرز المسؤولين عن تنسيق تحالفاتها ، واشترك في وزارة عدلي باشا الثانية ثم في وزارة ثروت باشا الثانية ، وكان فيهما وزيرا للزراعة ضمن حصة الوفد .

هل كان ممكنا له يكون خليفة سعد في زعامة الأمة ؟

بمثل هذا السؤال يبدأ الحديث عن دور فتح الله بركات بعد وفاة سعد زغلول باشا ، والإجابة البسيطة تقول بالطبع إنه كان من الممكن ، ولكن بنسبة أقل بكثير من نسبة حظوظ النحاس باشا الذي كان الرجل الثاني في الوفد لأنه كان السكرتير العام للوفد ، كما كان الرجل الثاني في المناصب التي يتولاها الوفديون ، فقد كان النحاس باشا هو وكيل مجلس النواب الذي يرأسه سعد زغلول باشا نفسه، لكن الأهم من هذين السببين البروتوكوليين والمنطقيين أن النحاس باشا نفسه كان يُمثل الشباب في عصر هو عصر الشباب، ولم يكن جيل الزعماء الشبان في ذلك الوقت يرون أنفسهم بحاجة إلي الوقوف خلف من يسبقونهم في السن من طراز فتح الله بركات أو عبد العزيز فهمي باشا لو قدر له أن يبقى في الوفد .

كانت الثورة المصرية (الحقيقية) أي ثورة ١٩١٩ قد صقلت هؤلاء الشبان جميعاً وأقنعتهم بضرورة أن يتولوا زمام الأمر بأنفسهم حتي لا يضيع الوطن منهم علي نحو ما ضاع من أحفادهم من دون أن ينتبهوا في ٢٠١١..

ذكاء جيل ١٩١٩ والنحاس باشا

لهذا السبب ، فإنني في هذا المقام أحب أن استطرّد لأضرب مثلا دالا علي هذه العقلية وأثرها ، وسأأخذ هذا المثل من سلوك النحاس باشا الذي تولي رئاسة الوزارة في مارس ١٩٢٨ بعد شهور من وفاة سعد ، فقد كان النحاس من الذكاء ووضوح الرؤية ، بحيث عمد إلي اختيارات ذكية في كل المناصب ، بما في ذلك المناصب التي تسمى بالمناصب الروحية أو المعنوية . ويكفي أن نشير إلي أن النحاس باشا رشح الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخاً للأزهر ، وهو لا يزال في السابعة

والأربعين ، وكذلك كان من رشحه لمنصب الإفتاء وهو الشيخ عبد المجيد سليم في السادسة والأربعين من عمره ، بل إن المرشح الآخر للمشيخة وهو الشيخ الطواهري كان أيضا دون الخمسين. وقد انتهج النحاس باشا هذا المنهج علي الرغم من وجود علماء أفاضل لا ترقى إلي الشك في مكانتهم أية ذرة ، من قبيل الشيخ محمد شاكر والشيخ عبد المجيد اللبان (فضلاً عن وطنيتهم ووفديتهم وخبراتهم) ، لكن النحاس باشا كان يعرف أنه يؤسس لعهد جديد، وكذلك كان جيله يدرك هذه الحقيقة .

تجاوب فتح الله بركات مع جيل الشباب

وكان فتح الله بركات باشا من الذكاء بحيث أدرك هذه الحقيقة وتعامل معها بأقصى قدر من الإيجابية ، ولهذا فإنه سرعان ما أفسح المجال إلي جواره لابنه محمد بهي الدين باشا الذي كان من أبرز رموز هذا الجيل الجديد مع الشبان اللامعين في حقبة النحاس من التالين للنحاس مباشرة في السن ، سواء كانوا في الوفد أو في معارضة الوفد أو لم يتبلور موقفهم بعد .

فتح الله بركات وتراث خاله

كان فتح الله بركات باشا هو الذي تقدم لمجلس الوزراء باقتراح تخليد ذكرى سعد بإقامة تماثيل له في القاهرة والإسكندرية، وإنشاء ضريح له ، وجعل بيته في القاهرة وإيوانه متحفا وطنيا فوافق زملاؤه. وكان سعد باشا قد أوقف جميع أملاكه التي تركها ، وأسند لفتح الله بركات باشا نظارة أملاكه في مسجد وصيف وإيوانه، كما جعل نظارة هذه الأوقاف لصاحبة العصمة أم المصريين علي بيت الأمة في القاهرة ، ومن بعدها لبركات أيضا، ومن بعده لنجله بهي الدين بركات بك.

محاولته تكوين ائتلاف مناهض لصدقي باشا

وفي سنة ١٩٣٠ كان فتح الله بركات باشا رئيسا للجنة الزراعية في مجلس الشيوخ، وأخذ يعمل لإعادة الائتلاف الذي عمل له في سنة ١٩٢٦ فنجح في هذا وألفت بعضويته لجنة اتصال بين الوفد وحزب الأحرار الدستوريين. وفي ذلك الوقت العصيب كان بقاء فتح الله بركات في الصف الأول من زعامة الوفد بمثابة أيقونة

للفداء منه ، كما كان أيقونة للوفاء له.. ومهما حدث بعد ذلك من خروجه من الوفد في ١٩٣٢ حين تعرض الوفد لأقسي تجارب التعسف والتعنت والظلم والجور علي يد إسماعيل صدقي ، فقد بقي فتح الله بركات وفديا تماما في أذهان معاصريه علي الرغم من انشقاقه "التضامني" بل يُمكن لنا أن نقول بالتعبير المعنوي إنه مات وفدياً.

واحد من الزعماء السبعة ونصف

أيد فتح الله بركات الزعماء الذين انشقوا في ١٩٣٢ وأسسوا ما سمي بالوفد السعودي بقيادة حمد الباسل باشا وهو الحزب الذي لم يعمر طويلا . وقد بدأت ملامح هذا الانشقاق تتكون بطريقة سلبية قبل الطريقة الإيجابية، حين قرر النحاس باشا في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٢ حرمان هؤلاء من عضوية الوفد. وتذهب كل الروايات إلى أن هذا الانشقاق بدأ بسبب مكرم عبيد وخلافه مع نجيب الغرابلي باشا وقد استشرى هذا الخلاف في أثناء دفاع الرجلين (الغرابلي وعبيد) عن نجيب إسكندر في قضية القنابل إذ أصيب مكرم عبيد بالعصبية في أثناء المحكمة وانسحب، ف وقعت المحكمة عليه غرامة إهانة المحكمة، وتصور مكرم عبيد أن من حقه علي الغرابلي أن ينسحب احتجاجا علي ما حدث له لكن الغرابلي لم ينسحب. وهكذا تصاعد خلاف مكرم والغرابلي علي نحو ما حدث بعد هذا في ١٩٣٧ من خلاف مكرم والنقراشي.

موقف الوفد النبيل من فتح الله بركات

وتقديرًا من الوفد وزعامته لمكانة فتح الله بركات فقد قرر الوفد تأجيل النظر في عضويته بسبب مرضه ، لكنه أصر علي تأييده للمنشقين .

نجاحاته الوزارية والبرلمانية

كان لفتح الله بركات مجد كبير كتنفيذي بارز، فقد كان أول وزراء الزراعة الفلاحين إن صح هذا التعبير، وقد أعقبه في هذا التوجه عدد من الوزراء الناجحين من طراز احمد عبد الغفار باشا وألفونس جريس، بل وممن تحولوا بعد هذا إلي

التفرغ للسياسة ووزارة الداخلية والمالية كفؤاد سراج الدين باشا، وهي نماذج كان لها نظير وحيد في عهد ٢٣ يوليو هو سيد مرعي.

خشونته الوزارية المتحكم فيها

وقد كان من الطبيعي أن تكون هناك درجة من الخشونة في إدارة فتح الله بركات لوزارة الزراعة، لكنها علي كل حال كانت خشونة محدودة ومُتحكَّمًا فيها.

سياساته الإنشائية

اشتهر فتح الله بركات باشا بما يوصف بأنه السياسة الإنشائية، فقد كان حريصا علي تطوير الإنتاج الزراعي و الصناعات الزراعية و علي الإفادة من الجمعيات التعاونية ، ونشرها ، و علي قانون التعاون .

المؤتمر الدولي للقطن

كان لفتح الله بركات باشا نشاط بارز في المؤتمر الدولي للقطن الذي عقد مبكرا جدا في مصر، في عهده ، وقد منحه ذلك المؤتمر شهادة تقدير.

تمصير وزارة الزراعة وتعريب لغتها

يعود إلى فتح الله بركات باشا قبل غيره الفضل في تمصير وزارة الزراعة وتعريب لغتها و مستنداتها و مراسلاتها وبدء سياسات الإرشاد الزراعي.

رئاسته للجنة الدومين

اختير فتح الله بركات باشا رئيسا للجنة برلمانية لتفقد أراضي الدومين وطافت جميع أنحاء القطر المصري .

مرضه و وفاته

في أخريات حياته ، مرض محمد فتح الله بركات بعينيه فانتقل إلي مزارعه في ملوي بالمنيا ، ثم أصيب بمرض البروستاتا في أواخر ١٩٣٢ وأجريت له فيها

عمليتان جراحيتان نجحتا، لكنه أصيب بالإنفلونزا ثم بالدوسنتاريا وأجري له نقل له الدم مرتين. توفي فتح الله بركات باشا في ٣ فبراير سنة ١٩٣٣ وقد احتفل بتشييع الجنازة رسمياً وشعبياً، وألقي حمد الباسل باشا كلمة أمام قبره، كما ألقى الشاعر محمود رمزي نظيم المعروف بأبي الوفاء قصيدة.

كان الوحيد بين أئداده الذي شهد في حياته صعود نجم ابنه

أشرنا إلى أن فتح الله بركات رزق ميزة لم يُرزق بهما أحد من جيله من الزعماء الوطنيين و الوفديين، فقد رزق ابنا ناضجاً مؤهلاً ليكون في الصف الأول من قادة الوفد الجدد وهو الدكتور محمد بهي الدين الدين بركات (١٨٨٨ - ١٩٧٢)، الذي كان عضواً في هيئة الوصاية علي العرش ١٩٥٢-١٩٥٣ والذي كان له من الدور الفاعل و المبكر في الوزارة وفي رئاسة مجلس النواب، ما جعل بعض الباحثين يظنونه شقيقاً لفتح الله بركات وليس ابنا له، ذلك أنه وصل إلي المكانة المتقدمة بين رجال الوفد ورجال الدولة في حياة والده.

الفصل الخامس عشر : حسين القصبي

عمدة طنطا الذي لم يغب عن الصف الأول في السياسة المصرية

حسين القصبي ١٨٦٧ - ١٩٢٧ واحد من الزعماء المصريين المحليين الذين أسهموا في السياسة الوطنية، والحركة القومية بقوة وحضور على المستويين القومي والمحلي ، كان اسمه حاضرا بقوة في الحياة السياسية منذ بداية القرن العشرين. كان عميد عائلة القصبي في طنطا، وهي عائلة لاتزال تمارس نفوذها المعنوي القوي حتي الآن. وقد شارك في المجالس الوطنية، وفي المجتمع السياسي، وأسهم بصورة بارزة في قيادة الجماهير نحو تحررها.

نشأته

ولد السيد حسين القصبي ، واسمه بالكامل حسين بن محمد إمام بن حسن بن محمد بن عيسى القصبي، سنة ١٨٦٧ في طنطا، ونشأ بها، وتلقى العلم في بيت والده علي علماء الجامع الأحمدى، واشتهر في صغره بالذكاء والقدرة علي تحصيل العلم.

تمثيله للشعب

اختير حسين القصبي عضوا في مجلس طنطا البلدي، وعضوا في مجلس المديرية، وفيما بعد ثورة ١٩١٩ انتخب عضوا في مجلس الشيوخ عن مديرية الغربية.

نبوغه في إدارة الثروة

لما توفي والد حسين القصبي عهدت إليه عائلته بأمورها وأصبح معلى الرغم من صغر سنه كبير العائلة، ، وأدار في حد ذاته أملاكه العقارية فأحسن إدارتها، ووسع نطاقها على حد التعبير التقليدي المستخدم في مثل حالته ، كما عني بتحسين الإنتاج الزراعي، واستحداث الأصناف الجديدة، ونال الميدالية الزراعية سنة ١٩٢٥. وقد أتاح له هذا النجاح موقعا سياسيا و وطنيا متقدما ورتب له زعامة مبكرة

كان قادرا عل الوفاء بمتطلباتها على مستوى الوطن وقد اختار بذكاء فطري أن يكون مع حركة الجماهير المرتبطة بالحزب الوطني ، و سرعان ما أصبح في طليعة المشتغلين بالحركة الوطنية.

مشاركته في الوفد المصري إلى لندن ١٩٠٨

في عهد الخديو عباس حلمي اشترك السيد حسين القصيبي في الوفد الذي سافر إلى لندن برئاسة إسماعيل باشا أباطة للمطالبة بالدستور والاستقلال، ولم يكن في هذا غرابة، فقد كان هذا الجيل لايزال يري نفسه قادرا علي أن يحقق بالحوار لبلاده كثيرا من المغانم والمكاسب حتي في علاقات الوطن مع المحتل البريطاني، وقد سافر إسماعيل أباطة وزملاؤه إلي إنجلترا علي هيئة وفد مصري.

ويذكر أن ذلك الوفد سافر في صباح ١٤ يوليو ١٩٠٨ إلي بورسعيد باعتباره ممثلا شعبيا للجمعية العمومية، التي تمثل مصر والمصريين، وقد ضم هذا الوفد بالإضافة إلي إسماعيل أباطة والسيد حسين القصيبي كلا من: محمد الشريعي، وعبد اللطيف الصوفاني، وناشد حنا، ومحمود سالم.

وقد خطب إسماعيل أباطة في اجتماع عام في فندق الكونتنتينال (يوليو ١٩٠٨) ليوضح للمجتمعين أسباب سفر الوفد إلي إنجلترا، وأجمل الغرض من السفر في أنه رفع صوت التضرر والاستياء للأمة الإنجليزية بعاصمة بلادها من ممانعة حكومتهم للحكومة المصرية من إجابة مطالب الجمعية العمومية و لتبديد الخرافات والأوهام التي ألصقها بهذه المطالب الحقة العادلة أعداء مصر والمصريين هنا وهناك وللتحذير من السياسة التي تسير عليها الحكومة الإنجليزية في مصر، خصوصا في طريقة التعليم، وتأخير الصناعة، وحفظ الأمن، لتنبية الأمة الإنجليزية لحث حكومتها علي الوفاء بوعودها وعهودها للمصريين الذين ينتظرون منها احترام العهود. وقد نشر هذا الوفد بعد عودته بيانا عن أعماله علي صفحات الجرائد.

وفاته

توفي السيد حسين القصيبي في شهر أغسطس سنة ١٩٢٧ بالأستانة، ودفن في طنطا.

الفصل السادس عشر: عبد اللطيف بك المكباتي

القاضي المضحى الذي أصبح أول شهداء الانتخابات

عبد اللطيف بك المكباتي (١٨٦٨ - ١٩٢٤) أحد السبعة الذين أسسوا الوفد المصري مع سعد زغلول باشا وعلي شعراوي باشا وعبد العزيز فهمي و محمد محمود باشا وأحمد لطفي السيد و محمد علي علوية وهو أقلهم شهرة و ثانيهم رحبلا عن الحياة . ولد عبد اللطيف بك المكباتي في الدقهلية، واختير عضواً في الجمعية التشريعية (١٩١٣) وقد ترك منصبه القضائي من أجل هذا العمل الوطني الذي رآه مستحقاً للتضحية .

لقاء الرفاعي بالمكباتي في معتقل المنصورة

روي أستاذنا الرفاعي ذكرياته عن اعتقاله في بداية الحماية البريطانية في الحرب الأولى حيث زامل في هذا المعتقل الزعيم الوطني الكبير عبد اللطيف المكباتي: «كان اعتقاله بالمنصورة يوم ١٧ أغسطس سنة ١٩١٥، وفي نفس هذا اليوم اعتقل لفيق من خاصة أهل المنصورة ممن عرفوا بميولهم الوطنية، ورحلونا معتقلين إلي القاهرة حيث أودعونا سجن الاستئناف بباب الخلق، وهناك التقيت بأخي أمين الرفاعي وبفوج آخر من الوطنيين، اعتقلوهم بمصر يوم اعتقالنا. وكان نظام الاعتقال بسجن الاستئناف أن تخصص كل غرفة من الغرف الانفرادية لاثنتين من المعتقلين، وقد نسقوا اختيار كل اثنين بحسب مراكز المعتقلين وشخصياتهم، وإذ كنت قد اعتقلت بالمنصورة، فقد وضعوني أنا والمرحوم عبداللطيف بك المكباتي عضو الجمعية التشريعية (و عضو الوفد المصري فيما بعد) في غرفة واحدة، وهي الغرفة رقم ١٥ من العنبر رقم ٥ ، كنا صديقين حميمين، ومنزله بالمنصورة تجاه منزلي بها وقتئذ، وكنا قبل الاعتقال نتبادل الزيارات والأحاديث، وله ميول نحو مبادئ الحزب الوطني، وكنت أقدر فيه وطنيته وشجاعته الأدبية، واحتفاظه بكرامته، واعتزازه بشخصيته، وكفاءته الممتازة، فلما علم كلانا أنه زميل لصاحبه في الزنزانة، اطمانت نفسنا إلي هذه الزمالة، وخفت عن كلينا غضاضة السجن، وقد استقبلنا موظفو السجن

وعماله بالاحترام والتقدير، لأنهم عرفونا وعرفوا سبب اعتقالنا، وعرفوا علي الأخص أننا لسنا من طراز ضيوفهم الآخرين نزلنا سجن الاستئناف، فأكرموا وفادتنا وبذلوا لنا كل ما أمكنهم بذله من التسهيلات، ولكن في حدود اللوائح، لأن عليهم رقباء من رؤسائهم في المحافظة».

سخط الرافي و المكباتي على الحكومة

علي هذا النحو يروي عبدالرحمن الرافي ما استطاع روايته عن هذه الفترة من الكفاح الوطني المبكر ، وهو حريص علي الإشادة بالمكباتي وشخصيته وخلقه: «ولما التقينا ، أنا والمكباتي بك ، أول مرة في الزنزانة وأقفلوا علينا بابها وتمموا علينا طبقا للتعليمات، نظر كل منا إلي صاحبه نظرة دهشة واستغراب ، ثم ما لبثنا أن مزجنا الدهشة بشيء من الفكاهة والسخرية من سياسة الحكومة التي تعقل الناس جزافاً، وفي غير حدود العدل والقانون، دون أن توجه إلينا أية تهمة»

نقل المكباتي والرافي إلى سجن الحدره

يروى الرافي أن السلطات انتقلت بهما إلي سجن «الحدره» لمدة أسبوعين: «.. وقد صحبني أيضاً المكباتي بك في سجن الحدره وأفرج عنه هناك، ثم عدنا إلي معتقل درب الجماميز، فرحب بنا الإخوان والزملاء وهنأوني علي بطلان التهمة التي وجهت إلينا».

سفره إلى باريس مع الوفد و استقالته ١٩٢٠

كان عبد اللطيف المكباتي من الذين سافروا مع سعد باشا إلي أوروبا (١٩٢٠) وكان من أوائل الذين اختلفوا معه. وقد قدم استقالته من الوفد في ٢٨ أبريل ١٩٢١ في أثناء حكم وزارة عدلي باشا

عضويته في جمعية مصر المستقلة

وقد بدأ المنشقون إنشاء هذا الحزب من خلال ما سمي بجمعية مصر المستقلة التي أعلنت عن نيّتها مساعدة عدلي باشا في وزارته ومفاوضاته، واشترك المكباتي

في إنشاء «جمعية مصر المستقلة» لمساعدة عدلي باشا ووزارته علي النجاح في تحقيق الأمانى الوطنية، وهي الجمعية التي كانت بمثابة إرھاصة بإنشاء حزب الأحرار الدستوريين (١٩٢١) وباسم هذه الجمعية حصل الدكتور حافظ عفيفي على امتياز إصدار جريدة السياسة

عضويته في هيئة مكتب حزب الأحرار الدستوريين

تأسس حزب الأحرار الدستوريين نفسه في ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢، وكان أقطابه الرسميون : عدلي باشا رئيسا ووكيلان هما محمد محمود باشا وأحمد مدحت يكن، وكان محمد علي علوبة هو السكرتير وكان عبد اللطيف المكباتي هو أمين الصندوق، وبهذا استوعب الحزب الجديد في هيئة مكتبه أربعة من مؤسسي الوفد السبعة.

فكره القانوني

كان المكباتي من رجال القانون القادرين على الاشتباك مع ما تقتضيه السياسة من التشريع و التقنين و التأسيس، وفي أثناء عضويته في لجنة الدستور ١٩٢٣ كانت له مشاركات ذات قيمة .

اكتشاف د. عبد العظيم رمضان لرأيه في علاقة الوزارة والقصر

ذكر الدكتور عبد العظيم رمضان عند دراسته لما نادي به الوفد في ١٩٣٦ من إنشاء وزارة القصر أن عبد اللطيف المكباتي كان قد انتبه الى ضرورة تنظيم العلاقة بين الملك والوزارة من خلال آلية ثابتة ، ومن الحق أن نشير إلى ما ليس مشهورا من أن هذه الآلية هي الآلية البريطانية .

قال الدكتور عبد العظيم رمضان في معرض حديثه عن ١٩٣٦ :
" والحقيقة أن الوفد لم يكن أول مَنْ فكر في إنشاء وزارة القصر سنة ١٩٣٦، وإنما كانت هذه الفكرة مثار مناقشات طويلة وممتعة للغاية في لجنة الدستور عام ١٩٢٣، عند مناقشة القرار ٧٧ من قرارات اللجنة العامة الخاص بمسئولية الوزارة واستقالتها " .

فكرة المكباتي في استقالة رئيس الديوان مع رئيس الوزارة

" فقد اقترح المكباتي في ذلك الوقت أن تضاف إلي نص القرار فقرة بوجوب "أن يستقيل مع الوزراء مَنْ يكون في درجتهم من الموظفين في معية الملك، كرئيس الديوان الملكي، ورئيس التشريعات".

" وكان مما ساقه المكباتي في تعزيز هذا الاقتراح أن الملك لا يعمل بمفرده، بل يسترشد في آرائه بآراء المقربين إليه من كبار رجال البلاط، فإذا كان هؤلاء الرجال ليسوا من رأي الوزارة في السياسة العامة، وقع التناظر بين الوزارة والسراي، ولما كانت اللجنة قد قررت أن الملك يملك ولا يحكم، وأن الوزارة هي المسئولة عن السياسة العامة، فيجب أن يكون كبار رجال البلاط من رأي الوزارة، ييقون معها إذا بقيت، ويسقطون معها إذا سقطت، توحيداً للسياسة العامة، وحرصاً علي عدم الخلف، ومنعاً للاحتكاك المفسر».

تأييد الهلباوي لاقتراح المكباتي مع تعديله

«وقد أيد إبراهيم الهلباوي بك هذا الرأي مع تعديل بسيط، فقد أوضح أن كبار رجال البلاط الذين هم في درجة الوزراء يجب، خصوصاً في عهد التطور الأول، أن يكونوا مسئولين أمام الأمة أسوة بالوزراء، ولا تأتي مسئوليتهم لمحض كونهم كبار رجال البلاط، بل يجب أن يكونوا وزراء فعلاً، ولكن بلا وزارة، وأن يحضروا مناقشات مجلس الوزراء مقابل الواجب الذي سيحمله».

" وقال: إن بقاء كبار رجال السراي مسئولين أمام الملك دون غيره، لا يصح أن يستمر، بل يجب أن يكون للأمة إشراف عليهم، كما يجب أن يكون لهم صوت مع الوزراء في إدارة الشؤون العامة، يقاسمون الوزراء المسئولية العامة، والثقة العامة».

الشيخ بخيت والمنزلاوي ونامق يعارضون الاقتراح

«علي أن اقترح المكباتي بك، وتعديل الهلباوي بك، لم يلبثا أن تعرضا لهجوم شديد من الشيخ بخيت، وعلي المنزلاوي بك، وزكريا نامق بك، بحجة أن سقوط كبير الأمانة وكبير ديوان الملك مع الوزراء لا معني له، طالما أنهما لا يعملان مع الوزارة، وليس من المصلحة أن يكونا وزراء بلا وزارة، وكان مما ساقه المنزلاوي

بك أنه قد يوجد في بلاط الملك مَنْ يستطيع أن يدس للوزارة عند الملك، ويكون له من التأثير عليه أكثر مما لكبير ديوانه، وكبير أمنائه، فهذا الاقتراح لا يمنع الضرر، «فضلا عن أن النظام المقترح لا نظير له في الممالك الأخرى غير إنجلترا»، ولدينا متسع من الوقت بعد تشكيل البرلمان أن ننظر في إيجاد هذا النظام، أو عدم إيجاده».

عبد العزيز فهمي يحبط التععيد بالتععيد المعهود منه

على أن الدكتور عبد العظيم رمضان لم ينيه القراء الى ما هو واضح من النص من ان عبد العزيز فهمي باشا تناول المسألة بطريقة تغليب الخاص على العام والراهن على النص فأفقد المناقشة جوهرها ، و قادها إلى التعقيم و العقم :

«وقد وقف عبد العزيز فهمي بك من اقتراح المكباتي وتعديل الهلباوي موقفا خاصا، فقد أثني عليهما كل الثناء، ولكنه رأي أن الظروف الموجودة لا تسمح بالأخذ بهما، وكنت أرجو أن حالتنا تسمح به، لأنكم بعد أن قررتم أن حكومتنا دستورية، وأن الوزارة مسئولة أمام البرلمان، وأن الملك لا يعمل بنفسه، وإنما يعمل بواسطة وزرائه، وأن أي أمر من أوامر الملك لا يخلي الوزير أو الموظف من المسؤولية، بعد هذا كله وجب عليكم أن تحتفظوا بكرامة الملك ألا تعبت بها وشاية الواشين، أو دسياسة الدساسين، وأن تضمنوا لكل فريق حقوقه، وللوزارة حقوقها، فلا تدعوا في البلاد مَنْ يدس الدسائس للوزارة، بل يجب أن يكون من حول الملك علي رأي الوزارة حتي لا ينتقد مَنْ حول العرش علي الوزارة انتقادا يضر بمصلحة البلاد، فمن الجائز أن يأتي ملك سماع للوشاية، ويكون بجانبه من رجال بلاطه مَنْ يدس الدسائس للوزارة وهو يعلم أن من حق الملك أن يقيل الوزارة، وأن يعين مَنْ يخلفهم، فهل من مصلحة البلاد أن يسقط الملك كل يوم وزارة، ويعين غيرها، عملا بنصائح رجال بلاطه؟ أظن أن وحدة الفكر بين الوزراء والقائمين حول العرش واجبة، مادتمم قررتم أن الملك فوق الأحزاب، وأن ذاته مقدسة، وأنه يعمل برأي برلمان، لذلك أرى أن اقتراح المكباتي بك في محله، وممكن الأخذ به»

" ولكن يؤلم ضميري أن نأخذ به قبل تعديله كاقترح حضرة هلباوي بك. نعم يؤلم ضميري أن يكون على كبار رجال البلاط أن يتركوا مراكزهم عند سقوط الوزارة، دون أن يكون لهم حق حضور جلسات مجلس الوزراء، والمداولة معهم،

إذ كل واجب يقابله حق، ولكن في إعطاء هذا الحق من الصعوبات ما لا يخفي، كما أن حالة بلدنا لا تطيق الأخذ باقتراح حضرة مكباتي بك، لأن الملكية عندنا لها نعمة وجدة، وكل جدة لها شدة، والشدة لا تأخذ بالشدة، وإنما تأخذ باللين".
"والخلاصة أنني أثني كل الثناء علي اقتراح حضرة مكباتي بك، وتعديل هلباوي بك، ولكن مع الأسف الشديد أرى أن الظروف الحالية لا تسمح بالأخذ بهما"
"وهكذا انتهى الاقتراحان بالرفض من اللجنة العامة للدستور في جلسة ٧ سبتمبر ١٩٢٢".

شهاد من شهداء الانتخابات

من الطريف أن عبد الرحمن الرافعي في مذكراته صنف المكباتي في مذكراته كشهيد من شهداء الانتخابات، وذلك بسبب وفاته عقب رسوبه في انتخابات ١٩٢٤، إذ أنه لم يتحمل الصدمة فتوفي، وهو في رأي الرافعي أول ثلاثة أطلق عليهم هذا الوصف أما الآخرون فهما عبد اللطيف الصوفاني ١٩٢٥ واحمد لطفي ١٩٢٦، وكان أستاذنا الرافعي قد وصل في تصويره لمعاناته من عدم فوزه بالانتخابات إلي أن يتحدث بأسى شديد عن أنه نجا من أن يلقي مصير مَنْ سماهم شهداء الانتخابات: «وظللت أشهرا عدة أعالج هذه الحالة النفسية وألتمس مخرجا من هذا الضيق، خاصة عندما تذكرت مصير إخوان لي في الجهاد برّح بهم الألم في مثل هذه الظروف، فأودي بحياتهم، فإني علي يقين من أن سقوط عبد اللطيف بك المكباتي في انتخابات سنة ١٩٢٤، وعبد اللطيف بك الصوفاني في انتخابات سنة ١٩٢٥، وأحمد بك لطفي في انتخابات سنة ١٩٢٦، كان من الأسباب التي عجلت بوفاتهم في السنوات التي سقطوا فيها، حقاً إن لكل أجل كتابا، لكن الأسباب مرتبطة بمسبباتها، والنتائج مرهونة بمقدماتها.

شهادة الرافعي في حقه

" رأيت من المكباتي جلدا وصبرا أعجبت بهما وزاد من تقديري له، إذ كنت أظن أنه قد يتسخط علي مسلكه الوطني الذي أدي به إلي الاعتقال، لكنني علي العكس رأيت به فخورا به معتزا بشخصيته، عالي الرأس كعاداته، وأخذنا نقطع الوقت بالأحاديث نتناولها في شتي المواضيع، فكانت خير سلوي لنا في هذه الأوقات العصيبة».

تأبين الشيخ مصطفى عبد الرازق له

"في سنة ١٩١٣ سمعنا أن قاضيا من ذوي الكفاية والخلق، قد استقال من منصبه ليضع مواهبه السامية ومطامح نفسه الكبيرة في خدمة أمته في الجمعية التشريعية. ولم يكن لأعضاء الجمعية التشريعية راتب ذو شأن ولا امتيازات مغرية من أجل ذلك شعرت البلاد بتقدير العاطفة النبيلة في نفس هذا النائب الشاب ثم جعلت مواقفه في الجمعية التشريعية تكشف عن أصله حتى صار أحد أولئك الافراد الذين يشار إليهم بالبنان من بين أعضاء الجمعية، باعتبارهم قادة الحركة وأهل الرأي ولعله كان احدهم سنا.

"كنا في ذلك العهد شبابا في معاهد العلم ننظر بإعجاب وفخر وثبات عبد اللطيف المكباتي في ميدان المجد والشرف ولم يكن الشباب في عهدنا هو الذي يضع موازين الرجال ولكن مع ذلك كان يرقب بعناية وروية كيف تبنى الأمة المجد الصحيح لأبنائها وكنا نفهم أن خير مجد الرجال ما يقوم على فضائل الأخلاق فلما برزت شخصية المكباتي ممتازة بالصراحة والشجاعة والأخلاق عرفنا سر عظمته، فإن هذه الفضائل لا تكون إلا للنفوس الكبيرة وهي عزيزة خصوصا في الأمم الناهضة من عثار طويل ، ثم جاءت النهضة الوطنية، وكان من زعمائها منذ فجرها الأول وظل عنصرا فعالا من عناصرها الطيبة ممتازاً بصدق عزمته".

الشيخ مصطفى يتحدث عن صفاته الخلقية والخلقية

"كانت شمائل عبد اللطيف المكباتي شمائل قوة يحيط بها النيل، صريح في وطنيته، صريح في جهاده، صريح في صداقته، صريح في عداوته، وكانت مخايل عظمته الخلقية تلوح في مظاهر هيكله الجسماني.. جسم ممتلئ وافر، من غير أن يسرف في ضخامة ولا طول مع تناسب الأعضاء وقوة العقل ونشاط الحركة وعينان في بريقهما ذكاء وفطنة يفيضان نوراً وبشرا وقد يقدحان نارا وشررا، ينطلق في مشيته بخطى مطمئنة من غير فتور، مشرقا عالي الرأس، فصيح اللهجة من غير تكلف، في صوت واضح سليم الرنة قوي التأثير. ولقد عصف الموت به من غير نذير، فهدم صرحا رفيع العماد، وذوى أملا نضيرا من آمال البلاد."

الفصل السابع عشر: محمود أبو النصر

الدرعبي الذي انتخب نقيباً للمحامين وتنقل بين أربعة أحزاب

محمود أبو النصر ١٨٦٨ - ١٩٣٣ هو أشهر أفراد عائلة «أبو النصر» احدي العائلات الكبيرة في مديرية المنوفية، كان رأس هذه العائلة قائدا بارزا في عهد محمد علي، خاض كثيرا من المعارك الحربية وكان النصر حليفه فيها ، ومن ثم لقب هذا القائد باسم «أبو النصر»، وأصبح هذا اللقب الجميل كنية لعائلته.

نشأته و تكوينه

ولد محمود أبو النصر ابن الشيخ أحمد أبو النصر سنة ١٨٦٨ في المنوفية، وتلقى العلم بالمدارس الأولية، ثم تحول إلي الدراسة في الأزهر، ثم في دار العلوم وتخرج مبكرا في دار العلوم (١٨٨٩) بتفوق ، وهي الدفعة التالية مباشرة لدفعة الشيخ أحمد الحملاوي أستاذ اللغة الأشهر ، وعين مدرسا بدار العلوم. ثم سافر إلى فرنسا لدراسة القانون والفلسفة، واشتغل بالتدريس في كلية اللغات الشرقية بباريس .

و فيما يرويه أنصاره فقد حضر دروسه التي كان يلقيها في كلية اللغات الشرقية بباريس عدد من أعلام فرنسا، منهم مسيو جايا وزير فرنسا المفوض، ومستر إيموس المستشار القضائي، والأستاذان روس وإدوار براون المستشاران الإنجليزيان، ومسيو مارس مؤلف كتاب «محمد صلي الله عليه وسلم»، والكونت دلاستور السياسي المشهور.

شهادة الحقوق من ليون

نال محمود أبو النصر شهادة الحقوق من جامعة ليون الفرنسية ثم عاد إلي مصر واشتغل بالمحاماة وسرعان ما أثبت وجوده . وعلي مستوي المهنة نال محمود أبو النصر شهرة عظيمة في أوساط المحامين والمحاماة، وصار من كبار رجالها، حتى انتخب نقيباً للمحامين.

توليه منصب نقيب المحامين

انتخب محمود أبو النصر ليكون ثالث نقيب للمحامين بعد إبراهيم الهلباوي و عبد العزيز فهمي باشا و قد تولى منصبه في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وأستمر في منصبه دورة نقابية كاملة انتهت في ١٥ ديسمبر ١٩١٥. وقد تقرر في عهده إيداع أموال نقابة المحامين في البنك الأهلي لإستثمارها على أن يكون الصرف بموجب شيكات يوقعها النقيب بنفسه هو وأمين الصندوق، طبقاً للائحة الداخلية لنقابة المحامين.

المكتبة القانونية للنقابة

وفي عهد النقيب محمود أبو النصر تم التفكير في إنشاء مكتبة قانونية للنقابة تهدف لتسهيل عملية الاطلاع على كل المحامين، وبالفعل أنشئت المكتبة وقد اهدتها مدرسة الحقوق السلطانية عدد سبعين مجلد من أمهات كتب القانون بها.

جهده الصحفي

بدأ محمود أبو النصر جهده الثقافي والتنويري في السطوع حين أصدر مجلة الموسوعات بالاشتراك مع صديقه الأستاذ أحمد حافظ عوض.

عضوية لجنة الثلاثين التي وضعت الدستور

اختير محمود أبو النصر عضواً في لجنة الثلاثين التي وضعت الدستور المصري.

تنقله ما بين أربعة أحزاب : الحزب الوطني والوفد والأحرار و الاتحاد

- اشترك محمود أبو النصر في الحركة القومية المصرية، وكان من أصدقاء الزعيم الوطني محمد فريد.
- ولما تأسس الوفد المصري اختير عضواً فيه لكنه كان من أوائل من انشقوا عن سعد زغلول .
- ثم انضم إلي الأحرار الدستوريين، وكان من أعضاء الحزب المؤسسين البارزين،.

- وعندما تأسس حزب الاتحاد خطا خطوته الرابعة في السبيل الحزبي وانضم إليه وانتخب سكرتيرا عاما له.

القضايا التي ترفع فيها

ترافع محمود أبو النصر في الكثير من القضايا وكانت أشهرها مرافعته في جريمة إغتيال بطرس باشا غالي رئيس الوزراء والتي إتهم فيها إبراهيم ناصف الورداني فقد كان من المحامين الثلاثة الذين اقتضرت عليهم المرافعة مع زميله النقيب الأول إبراهيم الهلباوى و النقيب الرابع أحمد لطفى بك.

صورته في مذكرات يوسف نحاس

تتفرد مذكرات يوسف نحاس التي تدارسناها " في كتابنا في رحاب العدالة " بمحاولة إنصاف صديقه محمود أبو النصر عضو الوفد المصري الذي كان أول مَنْ تعرض للفصل من الوفد، وهو يورد نصوصا كاملة لرسائل منه إليه تتضمن تفاصيل شكاواه إليه من زملائه، وهي شكاوي فيها قدر كبير من المبالغة ، ومنها رسالة حرص يوسف نحاس كما نري علي أن يثبتها بنصها الذي يتضمن هجوما شنيعا علي كل من سعد زغلول ومحمد محمود وأحمد لطفى السيد جميعا، ومن المضحك أن الرسالة تتضمن أوصافا حادة لهؤلاء الأقطاب الثلاثة الذين يصورهم محمود أبو النصر وقد اجتمعوا ضده لكنهم سرعان ما افترقوا!!

آثاره

كتاب «منتخبات اجتماعية وسياسية واقتصادية».

وفاته

توفي محمود أبو النصر سنة ١٩٣٣، ودفن في قرافة العفيف بالمجاورين.

الفصل الثامن عشر : علي فهمي كامل

شقيق الزعيم الأول الذي توفي في تأبين الزعيم الثاني

الخط بينه وبين المليونيير الذي قتلته زوجته الفرنسية

نبدأ بإشارة مهمة إلى أن الموسوعات ومواقع شبكة الانترنت تخلط تماما بين هذا الزعيم و بين الثري ذي الاسم الشبيه جزئيا على كامل فهمي الذي كان ضحية لحادثة القتل الشهيرة التي تعرض لها في لندن على يد زوجته الفرنسية ١٩٢٣ .

مكانته التاريخية

الزعيم والسياسي علي فهمي كامل (١٨٧٠ - ١٩٢٦) من الخطباء البارزين الذين أفرزتهم مدرسة الخطابة السياسية بالحزب الوطني في النصف الأول من القرن العشرين و هوشقيق الزعيم مصطفى كامل، كان أكبر من أخيه بأربع سنوات، وهما من أبناء علي بك محمد ، وكان صاحب قدرات إدارية و تنظيمية عالية أفادت الحزب الوطني و مؤسساته و مدارسه و صحفه .

نشأته

ولد علي فهمي كامل في القاهرة سنة ١٨٧٠، وتلقى تعليماً مدنياً متميزاً، والتحق بمدرسة الألسن، وبعد أن مكث بها سنتين تركها والتحق بالمدرسة الحربية، وسرعان ما تخرج فيها (١٨٩٠) وعين ضابطاً في أورطة الأساس، ثم التحق بعدها بالأورطة الأولى التي كانت تخدم في سواكن، وأظهر من التفوق ما جعله ينال الترقية قبل دوره، كما أنعم عليه بالنيشان المجيدي الخامس، كما نال بعد ذلك النيشان العثماني.

معاناته بسبب نشاط شقيقه

وعندما بدأ اسم شقيقه مصطفى كامل باشا يلعب في أفق السياسة المصرية، بدأ الضباط الإنجليز بالجيش في اضطهاد علي فهمي كامل فقدم للمحاكمة وتم عقابه

بطريقة قاسية (!!)) بإنزاله إلي رتبة نفر، إلي أن صدر عنه عفو خديوي (١٨٩٦) بتدخل من شقيقه مصطفى كامل باشا ، فأعيدت إليه رتبته ونياشينه.

استقالته

وظل علي فهمي كامل يخدم في الجيش إلي أن قدم استقالته (يناير ١٨٩٩)، وانضم إلي شقيقه مصطفى كامل باشا في نضاله الوطني، وأصبح الساعد الأيمن لشقيقه، فساعده في إدارة وتحرير جريدة «اللواء» خاصة في الأوقات التي كان يسافر مصطفى كامل فيها إلي أوروبا.

جمعه التبرعات لمشروع سكة حديد الحجاز

لعب علي فهمي كامل دوراً مهماً في مصر في الدعاية لمشروع الدولة العثمانية التاريخي و الرائد بانشاء سكة حديد الحجاز، وجمع التبرعات من المصريين لتنفيذه.

دوره في الحزب الوطني

وعندما تم تأسيس الحزب الوطني (١٩٠٧) تولي علي فهمي كامل تنظيم الشؤون الإدارية للحزب.

دوره بعد وفاة شقيقه

وعندما توفي مصطفى كامل في فبراير سنة ١٩٠٨ وتولي محمد فريد قيادة الحزب، انتخب علي فهمي كامل وكيلاً أول للحزب الوطني إلي جانب عضويته في اللجنة الإدارية.

قدراته التنظيمية

وإلي علي فهمي كامل يرجع جزء كبير من الفضل في تأليف اللجان الفرعية للحزب التي بلغت ٧٥ لجنة رئيسية إلي جانب ٤١٢ لجنة فرعية، كما أسهم مع أعضاء اللجنة الإدارية في القيام بدور فعال في تأسيس مدارس الشعب التي بلغ عددها ٦٢ مدرسة.

مؤتمر بروكسل

وفي سنة ١٩١٠ رأس علي فهمي كامل وفداً من كبار الحزب الوطني وبعض الأعيان للاشتراك في مؤتمر بروكسل الذي عقده الزعيم محمد فريد في إطار نضال الحزب في سبيل القضية الوطنية خارج الحدود وعرض قضية مصر أمام الرأي العام الأوروبي.

محاكمته و سجنه في ١٩١٢

وفي مارس ١٩١٢ وفي سياق الاضطهاد الإنجليزي للحزب الوطني ورجاله قدم علي فهمي كامل للمحكمة بتهمة أنه علق علي خطبة محمد فريد التي ألقاها بمقر جريدة «العلم» إحدى صحف الحزب الوطني، وحكمت عليه المحكمة بالسجن مدة ثلاثة أشهر قضاها بسجن الاستئناف.

اعتقاله في أثناء الحرب العالمية الأولى

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) اعتقلته سلطات الاحتلال من باب الاحتياط ضد المشاعر الوطنية في سجن طرة مع كثير من الوطنيين من أعضاء الحزب الوطني وغيرهم.

موقفه في ثورة ١٩١٩

كان علي فهمي كامل هو الذي حرر بيان الحزب الوطني في الهجوم علي لورد ملنر ومهمته في مصر (ديسمبر ١٩١٩)، و هو الذي قاد احتجاج الحزب ورفضه للمشروع المضاد الذي قدمته انجلترا إلي سعد زغول باشا في مفاوضاته مع ملنر (١٩٢٠)، كما أنه هو من أيد ودعم واستصدر قرار الحزب الوطني الداعي إلي تأييد سعد زغول في قطع المفاوضات مع ملنر (نوفمبر ١٩٢٠).

احتجازه علي التنظيم البريطاني لوراثة العرش

كان علي فهمي كامل هو من قاد احتجاج الحزب الوطني علي التدخل البريطاني في مسألة وراثة العرش (أبريل ١٩٢٠).

الانجليز ينفونه بسبب برقية أرسلها للخديو

في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢١ وفي أثناء اشتداد الخصومة بين حكومة عدلي يكن التي كانت تفاوض الإنجليز (مفاوضات عدلي - كيرزون)، وبين المعارضة بقيادة سعد زغلول باشا، قررت السلطات العسكرية نفي علي فهمي كامل، وذلك بسبب إرساله تلغرافاً إلي الخديو السابق (عباس حلمي الثاني) بصيغة تتضمن «إنكار حقوق الذات العلية السلطانية»، وقرر مجلس الوزراء في ذلك اليوم أيضاً وقف جريدة «اللواء المصري» ستة أشهر لنشرها مقالاً تضمن نص ذلك التلغراف بحجة أن هذا من شأنه الإخلال بالنظام العام.

نشاطه الوطني في المنفى

غادر علي فهمي كامل مصر في ٣٠ سبتمبر ١٩٢١ وظل خارجها. وخلال فترة نفيه من مصر ظل علي فهمي كامل يدعو للقضية المصرية في المحافل الدولية من خلال حضور المؤتمرات، وكتابة المقالات، وعقد الاجتماعات مع الطلاب الذين يعملون في أوروبا.

محاولته حضور مصر في مؤتمر لوزان

كان علي فهمي كامل واحداً من الساسة المصريين الذين حاولوا عرض القضية المصرية علي مؤتمر لوزان (أكتوبر ١٩٢٢ - يوليو ١٩٢٣)، وهي المحاولات التي باءت بالفشل.

عودته الى مصر

عاد علي فهمي كامل إلى مصر في أكتوبر ١٩٢٣ بعد إلغاء الأحكام العرفية، وبعد عودته من منفاه إلى مصر واصل نشاطه في عهد الحزب الوطني (محمد حافظ رمضان)، وفي هذه الفترة أخرج جريدة «العلم المصري» (١٩٢٥)، ثم جريدة «العلم» (١٩٢٦).

وفاته وجنازته

توفي علي فهمي كامل في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٦، وذلك عندما أقام الحزب الوطني احتفالية بمناسبة الذكرى السابعة لرحيل الزعيم محمد فريد في دار سينما متروبول بالقاهرة، وفيها ألقى علي فهمي كامل خطبته التي استغرقت ساعة استعرض فيها جهاد الفقيد في سبيل القضية الوطنية، وما أن أتم خطبته حتى سقط ميتاً وسط الحاضرين.

وقد شيعت جنازته في مشهد مهيب، وتم دفنه إلي جوار شقيقه مصطفى كامل في مقابر الإمام الشافعي، ولكن جثمانه لم ينقل إلي جوار جثمان شقيقه في الضريح الذي أقيم بعد ذلك للزعيم مصطفى كامل، ومحمد فريد.

آثاره

- «مصطفى كامل في ٣٤ ربيعاً».
 - «المسألة المصرية».
 - ترجم كتاب «انجلترا في مصر» لجوليت آدم.
- ومما يذكر أنه كان قد بدأ دراسة للدكتوراه عن الدستور المصري.

الفصل التاسع عشر : أحمد لطفي بك

النقيب الرابع للمحاميين و رائد التعاون والعمل الوطني

أحمد بك لطفي المتوفي ١٩٢٦ محام من الطبقة الأولى، و رابع نقيب للمحاميين، ورائد من رواد التعاون، وقطب من أقطاب الحزب الوطني القديم.

التفريق بينه وبين أستاذ الجيل

أصبح من اكثر الأخطاء شيوعا الآن ان يخلط الكتاب بين احمد لطفي بك المحامي و رابع نقيب للمحاميين وبين أستاذ الجيل احمد لطفي السيد ، وبلغ الامر حدا لم يمكن من الممكن للإنسان ان يتخيله ، ذلك ان مواقع نقابة المحامين تضع الحديث الجاهز عن احمد لطفي السيد باشا وسيرته في موضع الحديث عن احمد لطفي بك ، وذلك على الرغم من فارق يقرب من أربعين عاما في تاريخي وفاتهما ، وهو ما يعني ان كثيرا من الامجاد التي هي امجا أستاذ الجيل تنسب الى النقيب الرابع مع انها حدثت بعد وفاته !

نشأته

نشأ أحمد بك لطفي في أسرة كريمة كان من المعروف أنها أسرة مغربية وفدت إلي مصر في زمن محمد علي، وكان رئيسها من وجهاء بلاده يمثل دولة المغرب الأقصى في مصر .
تخرج أحمد لطفي في مدرسة الحقوق، وبعد أن عمل زمنا قصيرا في قلم قضايا وزارة الأوقاف انضم إلى أخيه الأكبر عمر لطفي بك في الاشتغال بالمحاماة.

ارتباطه بأخيه عمر لطفي بك

عمل أحمد لطفي بك بالمحاماة والتدريس في مدرسة البوليس، وتولى الإسهام في امتحانات الضباط ، وقد دعم شقيقه عمر لطفي رائد التعاون الشهير في نشر الدعوة للتعاون الزراعي، وفي تأسيس النقابات.

وقد مارس نشاطه في هذا الميدان عن علم به وخبرة بألياته ووسائله وتشريعاته، وذلك بعد أن سافر إلى إيطاليا ودرس نظم و تشريعات التعاون فيها، وعاد خبيراً بقوانينه، وألياته، ونظمه، وتفصيلاته.

الحزب الوطني

مارس أحمد لطفي بك نشاطه السياسي والوطني إلى جانب مصطفى كامل باشا رئيس الحزب الوطني، وقد اختير وكيلاً للحزب عندما تولي محمد فريد بك رئاسته خلفاً لمصطفى كامل ، وتولى على فهمي كامل شقيق مصطفى كامل منصب الوكيل الأول .

انتخب أحمد لطفي نقيباً للمحامين أكثر من مرة ، وكان هو رابع من انتخب لهذا المنصب بعد الهلباوي و عبد العزيز فهمي ومحمود أبو النصر .

وفاته

توفي أحمد لطفي مساء الأحد ٢٩ أغسطس ١٩٢٦ بالإسكندرية إثر مرض عضال، وان كان استاذنا الرافعي قد صور أنه توفي كمدا بسبب سقوطه في انتخابات البرلمان ١٩٢٦ وقد عده الشهيد الثالث بعد كل من عبد اللطيف المكباتي ١٩٢٥ و عبد اللطيف الصوفاني ١٩٢٥

وشيعت جنازة أحمد لطفي في القاهرة في جنازة مهيبه.

الفصل العشرون : مرقص حنا

نقيب المحامين الذي عمل وزيرا للأشغال

مرقص حنا باشا (١٨٧٢ - ١٩٣٤) رمز من رموز الوطنية الصادقة والنجاح المهني في المحاماة ، و القدرة على تأليف القلوب من حوله ، وهو واحد من أشهر نقباء المحامين، ومن ألمعهم، وهو من حيث الترتيب خامسهم ، وهو من وزراء الوفد البارزين.

كان في شبابه كالحناس باشا من مؤيدي الحزب الوطني حزب مصطفى كامل، ثم كان من مؤيدي سعد زغلول والحناس باشا و لم يعرف عنه اى ميل الى الغدر او الانتهازية ضد مصالح الشعب .

نشأته وتعليمه

ولد مرقص حنا باشا في ٤ سبتمبر ١٨٧٢، وتخرج في جامعة مونبلييه، ونال درجة عليا في القانون ولما عاد إلى مصر التحق ببنياية الإسكندرية، و عمل في دمنهور ثم نقل إلى أسيوط، ثم استقال منها لاختلافه مع النائب العمومي حينئذ. ومارس المحاماة بأسيوط، ثم قدم إلى العاصمة ، و افتتح مكتبا للمحاماة في حي الفجالة، وعمل معه في هذا المكتب الزعيم الوطني ويصا واصف، وممن عملوا معه في مكتبه في فترات لاحقة : توفيق دوس باشا و محمد صبري أبو علم.

مكانته المبكرة في الحزب الوطني والعمل العام

اجتهد الزعيم محمد فريد رئيس الحزب الوطني من أجل انتخاب مرقص حنا عضوا في أول مجلس إدارة للجامعة المصرية (١٩٠٨)، ثم انتخبه المجلس أمينا للصندوق، وكان يدرس القانون النظامي، كما أنه كان يدرس هذا العلم في مدرسة الحقوق الفرنسية. و كان قبل هذا من أكبر الداعين إلى تأسيس المدارس لتتعليم البنات ، ومن آثاره المهمة إسهامه في إنشاء كلية البنات القبطية .

عنايته بحق المواطن في القانون

تذكر أدبيات التاريخ القضائي له دورا مبكرا في قضية من قضايا حقوق المواطنين ، وذلك أن أحد أعيان سوهاج قصد في يوم من الأيام (١٩٠٥) إلي المحطة ليستقبل صديقا أتيا من القاهرة، ولم يشتر تذكرة دخول في المحطة وهي بخمسة مليمات، فاعترض الموظف طريقه وأبي أن يسمح له بالدخول، وجرت بينهما مناقشة أصر فيها الموظف علي التذكرة، وأصر الرجل علي أن هذه ضريبة غير قانونية ولا حق للمصلحة فيها ، وفي اليوم التالي لجأ هذا الرجل إلي مكتب مرقص حنا لاستشارته تمهيدا لرفع قضية علي الحكومة، فدرس الموضوع فوجد هذا الرسم الذي تفرضه السكك الحديدية لا يستند إلي أكثر من أمر إداري، فرفع القضية وربحها ، وقضت المحكمة علي الحكومة بالتعويض !!

مرافعاته في القضية العسكرية

تولي مرقص حنا الدفاع في القضية العسكرية التي حوكم فيها عبد الرحمن بك فهمي (١٩٢٠) وكانت من أهم قضايا ثورة ١٩١٩ .

انتخابه نقيبا للمحامين

انتخب مرقص حنا نقيبا للمحامين (١٩١٩) وأعيد انتخابه خمس مرات.

تولييه رئاسة لجنة الوفد المركزية

لما اعتقل محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية وصحبه أسندت إلي مرقص حنا رئاسة لجنة الوفد المركزية.

وصوله الي اعلى عضويات الوفد

في يناير ١٩٢٢ اختير بعض الزعماء ليصبحوا أعضاء في الوفد المصري (وهو اللقب الذي كان يطلق على أعلي هيئات الوفد) ليحلوا محل بعض الذين نفوا إلي سيشل أو اعتقلوا في مصر، وكان مرقص حنا هو أول هؤلاء، وقد اختير معه علوي الجزار بك، ومراد الشريعي بك، وانضموا إلي مَنْ كان باقيا في مصر من طليعة

الوفد الأولي وهم: حمد الباسل باشا، وواصف غالي باشا، والأستاذ ويصا واصف.

واجه الإعدام ضمن الزعماء السبعة

أصدر زعماء الوفد الباكون بقيادة حمد الباسل باشا (بعد عودته للوفد بناء على رسالة من سعد زغول باشا) بيانهم المشهور ، وبسبب هذا البيان قبض الانجليز على الزعماء السبعة : حمد الباسل، وجورج خياط، ومراد الشريعي، ومرقص حنا، وعلوي الجرار، وواصف غالي، ويصا واصف، واحتجزوهم في قشلاق قصر النيل ، وصدر عليهم من المحكمة العسكرية حكم بالإعدام بتهمة التحريض على تخريب الاقتصاد والحض على كراهية السلطات وذلك في ٢٥ ابريل ١٩٢٢ .

يذكر التاريخ أن هؤلاء السبعة جميعا استقبلوا هذا الحكم البريطاني العسكري الجائر الذي صدر عن سلطة احتلال بكل ثبات ورباطة جأش، وأن مرقص باشا هتف عند سماعه تلاوة الحكم من الضابط البريطاني قائلاً: «لتحيا مصر». وقد خفف هذا الحكم فيما بعد إلى السجن سبع سنوات

تولي ثلاث وزارات مع ثلاثة رؤساء

بدأ مرقص حنا باشا مناصبه الوزارية بتولي وزارة الأشغال العمومية طيلة وزارة سعد باشا زغول (١٩٢٤)، ثم تولي وزارة المالية طيلة وزارة عدلي باشا الثانية الائتلافية (يونيو ١٩٢٦ - أبريل ١٩٢٧)، واستمر في الوزارة التالية وهي وزارة ثروت باشا الثالثة الائتلافية (أبريل ١٩٢٧ - مارس ١٩٢٨)، وخرج من الوزارة عندما شكلها النحاس باشا للمرة الأولى (مارس ١٩٢٨).

وفي ذلك الوقت دخل وزارة النحاس باشا الأولى زوج السيدة عايذة ابنته الذي هو مكرم باشا عبيد.

عودته للمحاماة

لما استقالت وزارة الشعب برياسة سعد زغول ١٩٢٤ عاد مرقص حنا باشا إلي الاشتغال بالمحاماة، وكان مساعده في ذلك الحين محمد صبري أبو علم، ومن أشهر القضايا التي ترافع فيها يومئذ قضية حمد الباسل باشا، وسكاكيني المشهورة.

اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون في عهده

حين كان مرقص حنا وزيرا للأشغال (١٩٢٤)، افتتحت مقبرة (توت عنخ آمون) ولما رأى المسلك المتغطرس لبعض القائمين عليها من الإنجليز فإنه صمم علي أن يتخذ الإجراءات الحازمة لوقف الإنجليز عند حدهم، ولم يخش بأس أحد، وأصدر الأمر بإغلاق المقبرة وتسليمها للحكومة المصرية ومنع الزيارة، لأنها كانت مباحة للأجنيبيات والأجانب دون المصريين، وأمر بإرسال قوة من الجنود المصريين لتنفيذ أمره، وثار تائرة القائمين علي المقبرة. وهاجمته جريدة «التايمز» بشدة، لكنه كان بشخصيته وبقوة الوفد و زعامته أقوى من كل هجوم و بخاصة أنه قرن الأمور بالوطنية وحقوق الشعب .

شخصيته

كان مرقص حنا قوي الشخصية، جريئاً في الحق، طاهر الذيل، وقد أثني عليه اللورد لويد رغم أنه لم يكن منصفاً.

وفاته

استمر مرض مرقص حنا أربع سنوات ويروي أنه انتقل من داره في الدقي بالجيزة إلي داره في حدائق القبة، ثم أصيب بإغماء شديد، وأصيب بعد ذلك بالتهاب رئوي.

وفاته

توفي مرقص حنا يوم الاثنين ١٨ يونيو سنة ١٩٣٤ عن عمر ٦٢ عاماً، ودفن في دير مارمينا.

المحتويات

٥	هذا الكتاب
١٠	الباب الأول أعيان من الأسرة الحاكمة
١٠	الفصل الأول : الأمير عمر طوسون
١٠	أفضل أمراء أسرة محمد علي
١٠	نسبه
١٠	والده و جده و زوجته
١١	نشأته وتعليمه المتميز
١١	مكانته بين أنداء العلويين
١١	ارتقى قريبا من الزعامة الشعبية
١٢	وقوفه مع الشعب من أجل الديمقراطية
١٢	مؤل نفقات الوفد بعشرة آلاف جنيهه
١٢	دوره الرائع و المرموق في الحرب الطرابلسية
١٢	موقفه في حرب البلقان
١٣	إسهاماته في تخفيف الكوارث
١٣	تبرعاته وتكريمه للأسطول العثماني والطيارين العثمانيين
١٣	وقوفه مع الجيش العثمانية لإنقاذ تركيا من الذوبان
١٣	دفاعه عن مقام الاسرة العثمانية و السلطان عبد المجيد
١٤	تقدير الدولة العثمانية له
١٤	جفاء الأوربيين تجاهه
١٤	قيمه العلمية
١٥	المراجع الموسوعية التي ألفها الأمير عمر طوسون :
١٥	وله كتب أخرى
١٥	وله كتب نشر بعضها بالعربية بعد أن نشرت بالفرنسية :
١٥	محاضرات في المجمع العلمي المصري و رسائل تاريخية
١٦	سماته النبيلة
١٦	قدراته الإدارية
١٦	نهجه المثالي في التعليم و الإصلاح الاجتماعي
١٦	عنايته بالمساجد
١٧	جمعية العروة الوثقى، وجمعية المواساة

١٧.....	دعمه للجمعيات الخيرية الإسلامية و المسيحية
١٧.....	عنايته بالفنون ومشاركته في تمويل تمثال نهضة مصر
١٧.....	دعمه للرياضة والكشافة
١٨.....	رعايته للمعارض الزراعية
١٨.....	قصيدة إسماعيل صبري
١٨.....	وفاته
١٩.....	الفصل الثاني : الأميرة فاطمة إسماعيل
١٩.....	المثل الساطع للعطاء المستنير
١٩.....	موجز ما يسجله التاريخ في وصفها
١٩.....	نشأتها وأسرتها الصغيرة
٢٠.....	تعاقب تبرعاتها
٢٠.....	الاحتفال بوضع حجر الأساس للجامعة
٢٠.....	قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي في الاحتفال
٢١.....	وفاتها
٢٢.....	الفصل الثالث : الأمير كمال الدين حسين
٢٢.....	الذي تصوف فتنازل عن العرش
٢٢.....	مولده و نسبه
٢٢.....	زواجه من ابنة عمه
٢٢.....	تصوفه النادر بين طبقة حكام مصر
٢٣.....	وقوفه مع الشعب ضد الاحتلال
٢٣.....	رئاسته للاحتفال بعيد الجهاد في ١٩٢٠
٢٣.....	وقوفه مع الشعب ضد الديكتاتورية
٢٣.....	اهتماماته بالصحراء
٢٤.....	قصة عن زوجة فرنسية مجهولة للأمير
٢٤.....	وفاته
٢٤.....	وصيته
٢٤.....	زوجته تهدي قصره للدولة ليكون وزارة للخارجية
٢٥.....	الفصل الرابع : الأمير يوسف كمال
٢٥.....	رجل الحضارة في عصر النهضة
٢٥.....	نسبه
٢٥.....	توجهه السياسي مع الشعب في ١٩٢٥
٢٦.....	دوره العلمي في وضع أجمل أطس لإفريقيا

٢٦.....	جهوده التأسيسية
٢٦.....	دوره الفني
٢٧.....	فضله على متحف الفن الإسلامي
٢٧.....	فضله على متحف فؤاد الأول الزراعي
٢٧.....	مقتنياته
٢٧.....	الرحلات والصيد
٢٨.....	تفوقه في إدارة ثروته
٢٩.....	الفصل الخامس : الأمير عزيز حسن
٢٩.....	الذي التحم بالشعب في ثورة ١٩١٩
٢٩.....	قيمه التاريخية و موقفه من ثورة ١٩١٩
٢٩.....	نسبه
٣٠.....	مسيرة حياته و اشتراكه في الحرب البلقانية
٣٠.....	هوايته للسيارات
٣٠.....	وفاته
٣٠.....	ذريته
٣١.....	الفصل السادس : الأميرة قدرية حسين
٣١.....	وتأملاتها في المسلة المصرية المهاجرة إلى باريس
٣١.....	مكاتها بين إخوتها
٣١.....	اعمالها الفنية
٣٢.....	من المؤلفات العربية، والتركية، والفرنسية المنسوبة اليها
٣٢.....	أسلوبها و مودعاتها في سوانح الأميرة
٣٢.....	تصور ما حلمت به من تأوهات المسلة المصرية في ميدان الكونكورد
٣٢.....	المسلة تشكو من الحكم عليها بالنفي الي باريس
٣٣.....	المسلة تتحدث عن اكرام الباريسيين لها
٣٣.....	الإحساس بشمس الأصيل
٣٤.....	تأمل الكتابات علي المسلة
٣٤.....	المسلة تشكو والاميرة تتألم لشكواها
٣٤.....	حركة المرور تمنع سماع بقية شكوي المسلة
٣٥.....	المسلة تستوقف الاميرة لتكمل شكواها
٣٥.....	المسلة تسأل الاميرة عن النيل واخواتها في مصر
٣٦.....	مناقير الطيور في رسوم المسلة
٣٦.....	المسلة تطلب من الاميرة أن تذكرها عند أهلها
٣٦.....	الاميرة تنقل حوارات زائري المسلة في الليل وتشكر لويس فيليب

٣٦.....	قصيدة أو اسطورة
٣٧.....	الباب الثاني : الأعيان الذين صنعتهم السياسة
٣٧.....	الفصل السابع : محمود سليمان باشا
٣٧.....	زعيم الصعيد الذي عاش قرنا من الزمان
٣٧.....	نسبه و نشأته
٣٧.....	صعوده في عهد الخديو إسماعيل
٣٧.....	أعماله الخيرية
٣٨.....	علاقته بالحكام
٣٨.....	دوره في عهد الخديو توفيق
٣٨.....	وصف د. هيكل لتنحيه عن السياسة بعد فشل الثورة العرابية
٣٨.....	عودته للسياسة
٣٨.....	رئاسة حزل الأمة ودوره في عهد الخديو عباس
٣٩.....	د. هيكل يرى أنه أول من ترأس حزباً ذا برنامج
٣٩.....	د. هيكل يصف دوره في وكالة المؤتمر المصري
٤٠.....	تشجيعه السلطان حسين على قبول العرش من الانجليز
٤٠.....	منحه نيشان النيل
٤٠.....	الانجليز يعتقلونه وهو رئيس للجنة الوفد المركزية في ثورة ١٩١٩
٤٠.....	محاولة لجنة ملتر الاتصال به
٤١.....	أول من هنا سعد زغلول بعودته من منفاه في جبل طارق
٤١.....	د. هيكل يصف موقفه من الخلاف بين سعد والعدليين
٤١.....	من رثاء الشيخ مصطفى عبد الرازق
٤١.....	من رثاء الدكتور هيكل باشا لمحمود باشا سليمان
٤١.....	وفاته
٤٢.....	الفصل الثامن : علي شعراوي باشا
٤٢.....	الاقتصادي الفاعل الذي مارس السياسة في هدوء
٤٢.....	مكانته في التاريخ
٤٢.....	زوجته و خاله و ثرواتهم
٤٢.....	مكانته في عهد الخديو توفيق
٤٣.....	اشتراكه في تأسيس الجريدة وحزب الأمة
٤٣.....	عضوية الجمعية التشريعية و تبلور مكانته قبل ثورة ١٩١٩
٤٣.....	ثناء عبد العزيز فهمي عليه في كتابه "هذه حياتي"
٤٣.....	شهادة عفاف لطفي السيد
٤٣.....	مديح الأستاذ محمد السوادي لشخصه

٤٣	وفاته
٤٤	الفصل التاسع : أحمد يحيى باشا
٤٤	الباشا السكندري الذي أنجب رئيسا للوزراء ومات في الحج
٤٤	مكانته في الإسكندرية
٤٤	جمعية العروة الوثقى
٤٥	المجلس البلدي
٤٥	تطوير منطقة الميناء الشرقي
٤٦	في البرلمان وثورة ١٩١٩
٤٦	استقبال سعد زغلول باشا عند عودته من المنفى
٤٦	وفاته
٤٧	الفصل العاشر : الشيخ عبد الرحيم الدمرداش
٤٧	الذي تبرع بكلية طب عظيمة
٤٧	مكانته الصوفية
٤٧	نشأته
٤٧	عين شيخا للسادة الدمرداشية وهو في الرابعة والعشرين
٤٨	مكانته في عصره
٤٨	قبره ومستشفاه
٤٨	شرط وقفه
٤٩	توجهاته السياسية
٤٩	كان يرى أن مصلحة مصر مصادقة البريطانيين تماما
٤٩	مكانته الاجتماعية
٤٩	ابنته قوت القلوب الدمرداشية
٥٠	جدد الزاوية الدمرداشية
٥٠	اهتمامه بطقوس الصوفية
٥٠	وفاته
٥١	الفصل الحادي عشر : إسماعيل باشا أباطة
٥١	هل كانت زعامته تجربة مبكرة لزعامه سعد زغلول باشا
٥١	مكانته التاريخية
٥٢	فضل مذكرات سعد زغلول في التنبيه الى تاريخه
٥٢	دوره المعارض للحكومة في الجمعية العمومية
٥٣	نشأته
٥٣	في الوظائف الحكومية

٥٣ حزب الامة
٥٣ دوره المبكر في جريدة "الأهالي" القديمة
٥٤ كتاباه
٥٤ رياسته لوفد مصري مبكر إلي لندن ١٩٠٨
٥٥ سفر الوفد
٥٥ عضويته في لجنة وضع الدستور
٥٥ وفاته
٥٥ توفي إسماعيل أباطة يوم الأحد ٢٣ يناير ١٩٢٧
٥٦ الفصل الثاني عشر : إبراهيم الهلباوي
٥٦ الخطيب الذي جلد فقراء دنشواي بلسانه الغني
٥٦ تلمذته للأفغاني ومحمد عبده
٥٦ كيف جاءه سوء الحظ
٥٧ رأينا في أن مرافعته كانت صورة من الإجرام
٥٧ هل ندم الهلباوي أم كابر؟
٥٨ عضويته في لجنة وضع دستور ١٩٢٣
٥٨ نشأته
٥٩ عمله بالمحاماة
٥٩ التوافق على اختياره ليكون أول نقيب للمحاميين
٥٩ المقارنة بين سلوك محمد سعيد باشا و سلوكه
٦٠ بقي مفارقا للأغلبية
٦٠ وصف الأستاذ عبد العزيز البشري لإبراهيم الهلباوي في المرأة
٦٠ الخلق والخلق
٦١ اختلاف الناس في شأنه كاختلافهم في شأن صدقي باشا
٦١ ثورة في هيكل رجل!
٦١ قدرته على التأثير الخطابي
٦٢ وإذا كان الهلباوي خطيبًا عظيمًا فهو ممثل أعظم!
٦٢ أثر الأفغاني فيه
٦٢ عرف البيئات المتصلة بالغرب
٦٣ تكوينه الثوري
٦٣ لعلها سقطت الرجل العظيم
٦٣ اتساع ميدان ممارسته للمهنة
٦٣ وفاؤه للصدقاة
٦٤ قدرته على الانتظام في الجماعة
٦٤ حياته البرلمانية هدأت من طباعه

٦٤.....	فقرات من وصف الأستاذ عباس العقاد للهللأوي
٦٤.....	أدرآته آفة التعجل
٦٥.....	العقاد يعترف بعنف مقالاته في الهجوم عليه
٦٥.....	العقاد يذكر أن موقفه منه كان من أسباب انشقاآه على الوفد
٦٦.....	وصيته بتركته
٦٦.....	مذكراته
٦٧.....	الفصل الثالث عشر : عبد اللطيف الصوفاني
٦٧.....	الزعيم الوطني الذي صنفه الرفاعي ثاني شهيد للانتخابات
٦٧.....	نشأته ونيابته الممتدة عن الأمة
٦٧.....	معارضته مد امتياز القناة
٦٧.....	الانجليز يتخوفون منه أثناء الحرب الأولى
٦٨.....	في ثورة ١٩١٩
٦٨.....	بعد الاستقلال
٦٨.....	أخلاقه
٦٨.....	وفاته
٦٩.....	الفصل الرابع عشر : فتح الله بركات باشا
٦٩.....	من عمدة للقرية إلي وزير للداخلية
٧٠.....	قدراته التنظيمية
٧٠.....	انتصاره على سطوة ثلاث دول : القائمة و العميقة و المحتلة
٧١.....	نموذج لأعيان ما قبل ثورة ١٩١٩
٧١.....	تعيينه عمدة لقريته ونجاحه الباهر
٧٢.....	ضجر سعد باشا منه في مرحلة مبكرة
٧٢.....	دوره في ثورة ١٩١٩ ونفيه مع سعد باشا
٧٢.....	وصوله للوزارة
٧٣.....	دوره السياسي والحزبي في برلمانات ١٩٢٤ و ١٩٢٥
٧٣.....	روايات حسن الشريف في كتابه "الرجال أسرار"
٧٤.....	دوره في إتمام الائتلاف بين الأحزاب ١٩٢٦
٧٤.....	هل كان ممكنا له يكون خليفة سعد في زعامة الأمة ؟
٧٤.....	ذكاء جيل ١٩١٩ والنحاس باشا
٧٥.....	تجاوب فتح الله بركات مع جيل الشباب
٧٥.....	فتح الله بركات وتراث خاله
٧٥.....	محاولته تكوين ائتلاف مناهض لصديقي باشا
٧٦.....	واحد من الزعماء السبعة ونصف

٧٦.....	موقف الوفد النبيل من فتح الله بركات
٧٦.....	نجاحاته الوزارية والبرلمانية
٧٧.....	خشونته الوزارية المتحكم فيها
٧٧.....	سياساته الإنشائية
٧٧.....	المؤتمر الدولي للقطن
٧٧.....	تمصير وزارة الزراعة وتعريب لغتها
٧٧.....	رئاسته للجنة الدومين
٧٧.....	مرضه و وفاته
٧٨.....	كان الوحيد بين أنداده الذي شهد في حياته صعود نجم ابنه
٧٩.....	الفصل الخامس عشر : حسين القسبي
٧٩.....	عمدة طنطا الذي لم يغب عن الصف الأول في السياسة المصرية
٧٩.....	نشأته
٧٩.....	تمثيله للشعب
٧٩.....	نبوغه في إدارة الثروة
٨٠.....	مشاركته في الوفد المصري إلى لندن ١٩٠٨
٨٠.....	وفاته
٨١.....	الفصل السادس عشر: عبد اللطيف بك المكباتي
٨١.....	القاضي المضحي الذي أصبح أول شهداء الانتخابات
٨١.....	لقاء الرفاعي بالمكباتي في معتقل المنصورة
٨٢.....	سخط الرفاعي و المكباتي على الحكومة
٨٢.....	نقل المكباتي والرفاعي إلى سجن الحدره
٨٢.....	سفره إلى باريس مع الوفد و استقالته ١٩٢٠
٨٢.....	عضويته في جمعية مصر المستقلة
٨٣.....	عضويته في هيئة مكتب حزب الأحرار الدستوريين
٨٣.....	فكره القانوني
٨٣.....	اكتشاف د. عبد العظيم رمضان لرأيه في علاقة الوزارة والقصر
٨٤.....	فكرة المكباتي في استقالة رئيس الديوان مع رئيس الوزارة
٨٤.....	تأييد الهلباوي لاقتراح المكباتي مع تعديله
٨٤.....	الشيخ بخيت والمنزلاوي ونامق يعارضون الاقتراح
٨٥.....	عبد العزيز فهمي يحبط التععيد بالتععيد المعهود منه
٨٦.....	شهيد من شهداء الانتخابات
٨٦.....	شهادة الرفاعي في حقه
٨٧.....	تأيين الشيخ مصطفى عبد الرازق له

٨٧.....	الشيخ مصطفى يتحدث عن صفاته الخلقية والخلقية
٨٨.....	الفصل السابع عشر: محمود أبو النصر
٨٨.....	الدرعي الذي انتخب نقيباً للمحامين وتنقل بين أربعة أحزاب
٨٨.....	نشأته و تكوينه
٨٨.....	شهادة الحقوق من ليون
٨٩.....	توليه منصب نقيب المحامين
٨٩.....	المكتبة القانونية للنقابة
٨٩.....	جهده الصحفي
٨٩.....	عضوية لجنة الثلاثين التي وضعت الدستور
٨٩.....	تنقله ما بين أربعة أحزاب : الحزب الوطني والوفد والأحرار و الاتحاد
٩٠.....	القضايا التي ترافع فيها
٩٠.....	صورته في مذكرات يوسف نحاس
٩٠.....	آثاره
٩٠.....	وفاته
٩١.....	الفصل الثامن عشر : علي فهمي كامل
٩١.....	شقيق الزعيم الأول الذي توفي في تأبين الزعيم الثاني
٩١.....	الخلط بينه وبين المليونير الذي قتلته زوجته الفرنسية
٩١.....	مكانته التاريخية
٩١.....	نشأته
٩١.....	معاناته بسبب نشاط شقيقه
٩٢.....	استقالته
٩٢.....	جمعه التبرعات لمشروع سكة حديد الحجاز
٩٢.....	دوره في الحزب الوطني
٩٢.....	دوره بعد وفاة شقيقه
٩٢.....	قدراته التنظيمية
٩٣.....	مؤتمر بروكسل
٩٣.....	محاكمته و سجنه في ١٩١٢
٩٣.....	اعتقاله في أثناء الحرب العالمية الأولى
٩٣.....	موقفه في ثورة ١٩١٩
٩٣.....	احتجازه علي التنظيم البريطاني لوراثة العرش
٩٤.....	الانجليز ينفونه بسبب برقية أرسلها للخديو
٩٤.....	نشاطه الوطني في المنفى
٩٤.....	محاويلته حضور مصر في مؤتمر لوزان

٩٤.....	عودته الى مصر
٩٥.....	وفاته وجنازته
٩٥.....	آثاره
٩٦.....	الفصل التاسع عشر: أحمد لطفي بك
٩٦.....	النقيب الرابع للمحامين ورائد التعاون والعمل الوطني
٩٦.....	التفريق بينه وبين أستاذ الجيل
٩٦.....	نشأته
٩٦.....	ارتباطه بأخيه عمر لطفي بك
٩٧.....	الحزب الوطني
٩٧.....	وفاته
٩٨.....	الفصل العشرون: مرقص حنا
٩٨.....	نقيب المحامين الذي عمل وزيرا للأشغال
٩٨.....	نشأته وتعليمه
٩٨.....	مكانته المبكرة في الحزب الوطني والعمل العام
٩٩.....	عنايته بحق المواطن في القانون
٩٩.....	مرافعاته في القضية العسكرية
٩٩.....	انتخابه نقيبا للمحامين
٩٩.....	تولييه رئاسة لجنة الوفد المركزية
٩٩.....	وصوله الى اعلى عضويات الوفد
١٠٠.....	واجه الإعدام ضمن الزعماء السبعة
١٠٠.....	تولي ثلاث وزارات مع ثلاثة رؤساء
١٠٠.....	عودته للمحاماة
١٠١.....	اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون في عهده
١٠١.....	شخصيته
١٠١.....	وفاته
١٠١.....	وفاته

Prof. Mohamed El Gawady

ISIN : 0000 0001 2122 604X

Prominent Egyptians
from Independency to Occupancy
1882-1922





الدكتور محمد راجوادی

نحاول في هذا الكتاب أن نرسم صورة لعوامل تكوين النخبة في مصر الحديثة فيما بين الاحتلال والاستقلال أو بلغة السنوات من خلال من برزوا في العقود الأربعة فيما بين 1882 و1922 فيما بعد خمود ونهاية مرحلة قطع الرعوس التي مارسها محمد علي باشا الكبير الذي كان حريصا كل الحرص علي الأيبيقي رأساً مصرياً من الرعوس التي سبقت وجوده في مصر، وأن تبدأ مصر عهداً جديداً بوجوده، وكأنها لم تبدأ إلا علي يديه، وعلي مدي أكثر من أربعين عاماً أحكم فيها قبضته علي مصر فإنه نجح في قطع كثير من الرعوس كانت أشهرها بالطبع رعوس المماليك في مذبحه القلعة الشهيرة، وكان أعلاها قيمة رأس من نصبه وأخذ منه الميثاق الغليظ وهو السيد عمر مكرم نقيب الأشراف فقد نفاه وأهانته.

